بصمات علمانية
في المقررات الرسمية للتربية

د. محمد بريش

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محمد الرجراجي بريش

مهندس رئيس
خبير في الدراسات المستقبلية والإستراتيجية
باحث في قضايا الفكر والثقافة
ومتخصص في دراسة مستقبلات العالم الإسلامي

بصمات علمانية في المقررات الرسمية للتربية

مقررات اللغة الفرنسية نموذجا

دراسة بحثية نقدية موسعة لكتب اللغة الفرنسية المقررة بالتعليم الابتدائي والثانوي بالمغرب

نشرت بمجلة "الهدى"، العدد العاشر
صفر - ربيع الأول 1405 / نوفمبر - ديسمبر 1984، ص 9 - 33.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

وقل رب زدني علماً

(طه: ١١٣)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

(العلق: ١ ـ ٥)

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

(النحل: ٧٨)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« كان أشراف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال المسلمين في قرطبة يذهبون الى المدارس. وكان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة... ».
فكتور روبنصن(1)

غياب الترابط بين مادة التربية الإسلامية وبعض المواد المقررة

نموذج : مقررات مادة اللغة الفرنسية

محمد بريش
مهندس الدولة في الهندسة المدنية

يحدد علم النفس وظيفة اللغة « بأنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية الى أجزائها وخصائصها، والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا أو أذهان سوانا. ويلخصون نواحي وظيفتها :

1 - أنها تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيما إجتماعية بسبب استخدام المجتمع اللغة للدلالة على معارفه وأفكاره.
2 - أنها تحتفظ بالتراث الثقافي والتقاليد جيلا بعد آخر.
3 - أنها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد، تساعده على تكييف سلوكه وضبطه كي يناسب تقاليد المجتمع وسلوكه.
4 - أنها تزود الفرد بأدوات التفكير »(2).

ويتبين من وراء كل هذا أن على اللغة، أجنبية كانت أم وطنية، أن تعبر عن معارف وأفكار المجتمع عقائديا وحضاريا، وأن تتخذ منها محورا أساسيا تحاك عليه مفرداتها وتصاغ دلالاتها. وبما أن كلمات اللغة إن هي إلا أوعية الأفكار والوجدانات، ووسيلة من أرقى وسائل التعبير، فإن الدول الراقية حين تدريسها لغة أجنبية ما تحرص على أن يكون ما في أوعيتها مستجيبا للدلالة على معارف وأفكار مجتمعاتها، وأن تكون مختلف نصوصها وعباراتها تعبيرا عن ثقافتها وحضارتها وتراثها، لتشاطر اللغة الأم مهام تكوين الفرد حسب إيديولوجيتها وتزويده بأدوات التفكير التى ترتضيها.

وتمشيا مع ما يقتضيه المنهج السليم في التربية والتعليم، فقد كان لزاما على اللغة الفرنسية، حين تلقينها التلميذ المغربي مفرداتها ومعانيها ودلالتها، أن تجعل من الإسلام مصدرا لنصوصها، وحضارة المغرب وتاريخه القديم والحديث منهلا لصياغة دروسها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكن يلاحظ المطلع على مقررات مادة اللغة الفرنسية من الابتدائي الى الثانوي،بسلكيه الأول والثاني،أنها بعيدة كل البعد عن البيئة الإسلامية الأصيلة وسلوك الفرد المسلم في حياته وتعامله مع أفراد مجتمعه، ونائية عن التساؤلات اليومية والفطرية التي يطرحها التلميذ في طفولته وصباه عن الكون وخالقه،والطبيعة ومنشإها،والخلائق ومبدعها، وعن استفساراته حول سلوك آبائه وأجداده وأفراد مجتمعه في عباداتهم ومعاملاتهم التي ما يلبث يلاحظها ويشاهدها. فمن جهة هنالك مسح شمولي لكل أنواع نشاطات الحياة الاجتماعية في الحضر والسفر، في المدرسة والبيت، في الحقل والمصنع، في أعمال النهار والمساء، ومن جهة أخرى الغياب التام لكل ما هو ديني من النشاط اليومي، فلا صلاة ولا زكاة، ولا تلاوة للقرآن ولا ذهاب الى المسجد، ولا إنصات لخطبة جمعة، ولا سماع لدرس ديني، بل ولا ذكر لسلام المسلم على أخيه المسلم، كل ذلك استثني استثناء من الحياة اليومية للأفراد والعائلات التي جعلت حياتها محورا لمواضيع ودروس المقررات !

ونحن حين تطرقنا بالدراسة لمقررات اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية والثانوية، لا ننسى أن التلميذ في كلا المرحلتين يتلقى دروس التربية الإسلامية كمادة منفردة حسب ما هو مقرر في برنامج التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي، إلا أن تسليطنا الاضواء على مادة اللغة الفرنسية إنما هو لكشف أمرين خطيرين :

- الأول : انعدام الترابط بين تدريس اللغة وتدريس الدين خاصة حين يتعلق الأمر باللغة الأجنبية التي يأتي منها أغلب الفكر الدخيل ليتقولب من بعد من طرف الواردين منه في قوالب اللغة الأم، علما منا بأن اللغة الأجنبية بكونها خط الوصل لاغتراف الحضارة الغربية ونقل التكنولوجيا من دولها بالنسبة لبلدنا، وحين تخلي المواطن عن التعامل بلغته، تعتبر العامل الأول للاستيلاب.
- الثاني : انسلال أفكار علمانية الى بعض هذه المقررات عن طريق نقل نصوص لكتاب ملاحدة أو علمانيين أو حاقدين على الدين الإسلامي والتي غفل القائمون على أعداد المقررات عن الانتباه إليها والى خطورة آثارها. وإذا كانت هذه الأفكار لم تبرز في المرحلة الابتدائية حيث اكتفى بالتشطيب على النشاط الديني للأفراد موضوع المقررات فانها ظهرت وبوضوح في المرحلة الثانوية عن طريق الاقتباس من كتاب كفرة مع الاستمرار في تجاهل البيئة المسلمة التي يعيش فيها التلميذ.

إن تدريس التربية الإسلامية يشترط ربطها بما يتلقاه التلميذ من مواد أخرى ارتباطا عضويا لا أن تدرس كمادة منعزلة عن باقي المواد كأنها الرسم مثلا أو غيره، بل حتى الرسم له ارتباط متين مع باقي المواد إذ الخط وحده ضرب من الرسم. وانعدام هذه العلاقة المتفاعلة بين التربية الإسلامية كمادة يرجى من خلالها تكوين الفرد المسلم الصالح لمجتمعه، النافع لنفسه ولغيره، وباقي المواد المقررة في برنامج التعليم يجعل تدريسها دون المستوى المرغوب فيه، وتأثيرها دون النتائج المتوخاة، خاصة وأن وسائل التربية خارج المدرسة من مسرح وتلفزة وسينما وإعلام مقروء ومسموع ومرئي في أغلبها بعيدة عن اهتمامات التلميذ الدينية وتساؤلاته الفطرية وغير مؤهلة لتلقينه التربية الإسلامية لانشغالها بما سواها.

1) المرحلة الابتدائية

يبدأ الطفل المغربي دراسة اللغة الفرنسية في السنة الثالثة من التعليم الابتدائي حيث تفرض عليه فرضا دون أن يكون له الخيار في لغة أجنبية أخرى[3]، في سلسلة معروفة باسم « بخطوات كبرى (à grands pas) » تمتد إلى السنة الخامسة وهي نهاية التعليم الابتدائي. وقبل التطرق لما جاء في هذه السلسلة وابداء ملاحظاتنا البسيطة حولها تجدر الإشارة الى نقطتين :

- الأولى : أن وزارة التربية الوطنية قد بذلت مجهودا ملحوظا في السنوات الأخيرة قصد إعادة النظر في مقررات اللغة الفرنسية وتوحيدها بالنسبة لجميع التلاميذ على الصعيد الوطني، وإخراجها في حلة بهيجة الطباعة سهلة التناول، إلا أن هذا الجهد اعتراه نقص كبير حيث لم يأخذ مأخذ الجد البيئة المسلمة التي يعيش فيها الطفل أو بمفهوم أدق، تلك التي يؤمل أن يعيش فيها بعد تنقيتها مما أصابها من مخلفات الاستعمار، وإزاحة ما علق بها من دخيل الأفكار، وما امتزج بها من دخن منذ عصور الانحطاط، أملا في تكوين المواطن والمواطنة الغيورين على بلدهما، العاملين لنهضته، المدافعين عن دينه ووحدته، المستمسكين بمكارم الأخلاق، المتسمين بأنبل الفضائل.
- الثانية : أن القائمين على بلورة وإعداد مقررات اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية قد وفقوا في ترسيخ فكرة الدفاع عن الوطن والالتزام بقوانينه الدستورية ومعرفة حدوده الجغرافية، وهو مجهود نشير إليه، ويبقى عيب المقررات الكبير الإخفاق في تمكين الطفل المغربي من معرفة دينه والتمسك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بشرائع الإسلام الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق وحسن السلوك والمعاملة،ويوقظ الشعور بالمصلحة العامة،ويدعو للتضحية في سبيل الخير، مع يسر في العبادة،وليونة في الدعوة،ونبل في المقصد.

إن تدريس التربية الإسلامية يشترط ربطها بما يتلقاه التلميذ من مواد أخرى ارتباطا عضويا لا أن تدرس كمادة منعزلة عن باقي المواد.

وحتى لا يكون كلامنا زعما لا يستند الى دليل، نرى أن نضرب أمثلة، للاستدلال لا للحصر، عن غياب النشاط الديني في مقررات اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية التي يراد لها كما سبق الذكر أن تكون مسحا لمختلف النشاطات اليومية،وإلماما بعدد من القضايا الإجتماعية لمجتمعنا المغربي من خلال أسر نموذجية،مع تعمدنا إثارة الانتباه إلى بعض الأشياء التي زج بها في بعض الدروس زجا دون الحاجة إليها وكان الأولى الاستغناء عن ذكرها.

أ ـ غياب النشاط الديني :

1 ـ تخلو السنوات الثلاث من السلسلة من الكلمات التالية : الله، الرسول، الإسلام، القرآن، فكأنما هذه الكلمات لا وجود لها إلا في قواميس اللغة العربية ولا تستحق الذكر إلا في درس منفرد خاص بالتربية الإسلامية[4]. ويعلم العاقل أنه بغيابها يغيب الدين كله، بل أدهى من ذلك وأمر، أن عدم ذكرها في مقررات الابتدائي بأنمها يوحي للطفل بأن الغرب (صاحب اللغة الأجنبية) لا يحتاج إلى معرفة الله ورسوله والدين الذي جاء بهوالقرآن الذي أنزل عليه ليتقدم ويزدهر ويبسط هيمنته الاقتصادية والتكنولوجية على دول العالم الثالث،ويفرض عليها أن تتعلم لغته كي تقتبس بعض الشعاع من حضارته وتتمكن من الانتفاع من منتوجاته. وينهي التلميذ المرحلة الابتدائية وهو يوشك أن لا يستقر في ذهنه أن التمسك بالدين من أول الأولويات وأن يتولد في نفسه استضعاف مادة التربية الإسلامية.

فعدم ذكر الله يرمز للطفل بعدم وجوده،وعدم ذكر الرسول يرمز إلى عدم بعثه، وعدم ذكر الإسلام يرمز إلى عدم تشريعه، وعدم ذكر القرآن يرمز إلى عدم نزوله، وعدم ذكر كل ذلك يرمز الى أننا في عصر لا يحتاج فيه الإنسان إلى الله أو الرسول أو الإسلام أو القرآن، وأننا في زمان تحكمه المادة وتسيره رغبات الإنسان وإمكانياته، كتلك الرغبات والإمكانيات المشار إليها في دروس المقررات.

فهذه المادة اللغوية التي تسبح بالتلميذ في بحور النشاط اليومي سواء كان نشاطا عمليا أو ثقافيا أو ترفيهيا، ويجد فيها الطفل الكثير من متمنياته وتعبيرا عن شعوره من ذهاب الى الشاطيء وسفر الى مختلف المدن وتخييم بالبادية وغير ذلك من تشوقاته، لم تذكر له الله ورسوله وما أنزل الله على رسوله، وقس على ذلك بعض المواد الأخرى، فكيف يستطيع درس التربية الإسلامية بمفرده ـ والذي لا يجول في عرض مختلف أنشطة الحياة اليومية للفرد المسلم كجولة مقررات اللغة الفرنسية ولا يقدم النشاط الديني بشكل حيوي كأن يبرزه من خلال ممارسات وأعمال لأسرة أو أسر نموذجية ـ أن يفرض على التلميذ التصور الإسلامي للحياة ويدعوه للالتزام بشرائع الإسلام؟

2 ـ لم تذكر كلمة المسجد في السلسلة كلها بسنواتها الثلاث ألا مرة واحدة في الدرس المعنون « جمال بالمدينة » (Jamal en ville)[5]، وحين ذكر المسجد لم يشر إلى دوره ولا إلى الصلاة التي تؤدى فيه أو الآذان الذي يسمع من أعلى مئذنته خمس مرات في اليوم، وإنما أشير اليه كعلامة جغرافية تدل على مكان الشارع أو العمارة حيث نجد جمال يشرح أن منزله الجديد يوجد بالعمارة الكبيرة القريبة من المسجد، فلا فرق حسب مفهوم المقررات بين الشارات التي تشير إلى الأماكن والطرقات أو العلامات الجغرافية وبين مساجد المدينة أو القرية، ولولا ذكر العمارة ما ذكر المسجد ! ولما استضاف جمال والديه وأقاربه لزيارته، دعاهم للاطلال من الشرفة لاستنشاق رائحة الياسمين الصاعدة من حديقة جاره، ولم يكلمهم عن المسجد أو رأوه من الشرفة[6]، كما أنه حين استطرد في درس آخر في الكلام عن المدينة التي يسكن بها لم يذكر المسجد قطعا ولو للدلالة عن الشارع الموجودة به عمارته[7]. والتشطيب على دور المسجد والمكانة التي يحتلها في تكوين الفرد المسلم وجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم من دروس مادة أساسية ستمكن الطفل مستقبلا من إغناء الحوار العربي الأوروبي ونقل التكنولوجيا إلى الوطن ـ ومن أجل هذا تدرّس ـ يجعل التلميذ، خاصة إذا استمر على نفس النهج كما سنرى بالثانوي، غير محصن الحصانة الكافية من الأفكار الدخيلة الهدامة والشاذة التي وردت علينا من الغرب وغيره.

3 ـ وذُكر يوم الجمعة... كإسم من أسماء أيام الأسبوع مرة[8]، وأخرى اكتفى فيها بالقول أنه اليوم الذي ترتاح فيه جميلة ولا تذهب فيه الى المدرسة، بل تمكث في البيت مع أمها تلعب وتقضي بعض الحاجات[9]، فلا هي رأت أمها أو أباها أو جدها أو جدتها أو أحد أفراد عائلتها أو أحد جيرانها يتأهب للصلاة أو قدم منها،أو سمعت الخطبة بالمذياع فتساءلت عنها وعن الهدف منها، أو خرجت للسوق[10] فوجدته مغلقا وقت الصلاة... لا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شيء من ذلك كله، فحياة هذه العائلات محور دروس المقررات لا تعرف الصلاة ولا المسجد ولا تعيش عيش الأسرة المسلمة التي تفضل يوم الجمعة على سائر الأيام. فرغم أن الآذان يكرر ثلاث مرات وقت صلاة الجمعة بأغلب المساجد ونقل أجهزة الإذاعة لخطبة أحدها، فإن جميلة لا تسمع آذانا، ولا تعرف لا هي ولا أمها ولا أباها ولا جارتها أن يوم الجمعة يوم طهارة وصلاة وصلة رحم. بل الادهى، أن يخصص أحد الدروس للكرة المستطيلة[11]، ولا يذكر ولو مرة واحدة طيلة ثلاث سنوات من التعليم الابتدائي (أضف الى ذلك سنوات الثانوي بأتمها كما سنرى) أن الأطفال والأشخاص المذكورين دخلوا المسجد أو صلوا صلاة من الصلوات أو قرأوا شيئا من القرآن ! ونحن نعلم أن جل الأطفال لا يلعبون الكرة المستطيلة بهذا البلد، بل كثير منهم لم يسمع بها، وإن سمع بها أو شاهدها فبالإذاعة أو التلفزة. ولم الاقتصار على الأطفال، فحتى الشباب والكهول يجهل أكثرهم هذا النوع من اللعب !.. ومقرر السنة الأولى من تدريس اللغة الفرنسية لا يستحيي في أن يذكر رياضة لا تمت الى المجتمع بصلة، ويتجاهل دين المجتمع بجل شعائره وأحكامه !!

لا نرضى من دروس مادة تصف الحياة الاجتماعية للطفل المغربي وتعتمدها أساسا وقاعدة لتقديم النصوص أن تتجاهل الدين الاسلامي الذي يدين به المغرب.

4 ـ في السنة النهائية من الابتدائي يسمع الطفل في درس وحيد بمقرر اللغة الفرنسية عن رمضان[12]، وكيف أن عليا قام إلى السحور على دقات الطبل (الذي يستعمل لإيقاظ الناس للسحور !)، وعزم على الصوم وذلك بامتناعه عن الأكل طيلة اليوم، وفي يومه ذلك يشتكي ويصيح أنه يموت من الجوع، ويكثر من النظر إلى الساعة، وتجلبه رائحة الطبخ الشهية والحلويات التي اشتراها أبوه للافطار، ثم يغلبه الجوع فيأكل ويبكي بعد ذلك، فتطمئنه أمه إلى أنه ما زال صغيرا وأن الصيام صعب عليه وشديد، ثم لا شيء بعد ذلك، فرمضان حسب الدرس استيقاظ على دقات قارع الطبل، وامتناع عن الأكل، وصعوبة في مواجهة شهوات البطن، فلا صلاة ولا ذكر ولا صدقة ولا آذان ولا تراويح ولا أدنى إشارة إلى أن رمضان ركن من أركان الإسلام أو أنه شهر من الشهور المعظمة عند المسلمين، تكثر فيه العبادة وتمتلىء فيه المساجد وتضاعف فيه دروس الوعظ والفقه، وأن الصوم صوم البطن وصوم اللسان عن الكلام فيما لا يخدم الإسلام والإنسان، كما لم ترد بالدرس أي التفاتة إلى أن عليا ذهب الى الصلاة، بل حتى الأب لم يذكر أنه صلى او ذهب الى المسجد أو قرأ آيات من القرآن، وإنما اشترى الحلوى للافطار... فرمضان مقرر اللغة الفرنسية لا يعدو أن يكون امتناعا عن الطعام، شاقا على الأطفال !

5 ـ أما عيد الأضحى، فقد خصص له درس بمفرده ! جاء فيه أن كريما استيقظ باكرا وخرج من سريره توا إلى بهو الدار حيث الكبش، والأم منشغلة في إعداد التوابل ووضع الحلويات. ثم يقول الدرس : « في التلفزة، نقل لصلاة العيد. كل الناس تنتظر ساعة الذبح... في الساعة الحادية عشرة، انتهى نقل الصلاة... خرج بابا ورجع ومعه الجزار. في رمشة عين، شد هذا الأخير البهيمة من قرونها وأسقطها أرضا وأبي يحاول تسكينها. مهمه الجزار دعاء، وكذكرى لأضحية إبراهيم، ذبح الكبش »[13]. هذا الدرس أحسن من سابقيه، فهو يذكر أن هناك أثر الصلاة نقلت في التلفاز، ودعاء يمهمه وقت الذبح، وأن الذبح ذكرى لذبح قام به إبراهيم. لكنه ذكر عقيم، كأنه وصف لسائح من أدغال استراليا يصف بعد نسيان ذبح عيد الأضحى بالمغرب. فالأسرة لا يعرف ربها الصلاة بل يكتفي بإشارة الانطلاق من التلفزة ليخرج للبحث عن جزار، ثم إنها لا تفهم ما قاله الجزار حين الذبح، فما قاله الجزار مجرد همهمة لم يفصح الدرس عن معناها، ثم أن الذبح كان مناسبة لذكرى أضحية إبراهيم، فمن يكون إبراهيم ؟ أهو نبي أم فارس شجاع ؟ ذلك شيء سكت عنه الدرس لفائدة مخيلة الطفل وشرح المعلم. ونحن لا ننكر أن المعلم العارف بدينه ومسؤولياته تجاه تلاميذه سيحاول سد الثغرات التي تركها الدرس، لكن إذا علمنا أن البرامج البيداغوجية الرسمية تعتمد أساسا على التحليل اللغوي والنحوي لما جاء في مفردات الدرس دون الغوص في تبسيط ما جاء فيها من آراء وأفكار ليس درس اللغة مكانها، أدركنا ما لمفردات الدرس الواردة فيه من دلالة وقوة مقارنة بالمفردات غير المذكورة والمتعلقة بالموضوع.

6 ـ جاء ذكر الحج في درس معنون « ذهاب الطائرة الدار البيضاء ـ جدة »[14]، بكتاب السنة الرابعة من الابتدائي. فالعربي سيذهب الى الحج، وتصاحبه العائلة الى مطار محمد الخامس، ويخصص باقي الدرس للكلام عن المطار واجراءات الحدود الجمركية وانطلاق الطائرة التي تقل على متنها العربي صوب جدة. فلا ذكر لأم القرى مكة، مع أن الحج لا يكون الى جدة، ولا إشارة الى المدينة المنورة ولا الى ساكنها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ولا أدنى تنبيه إلى أن الحج من الإسلام وركن من أركانه، بل سبق القول أن كلمة الإسلام لم ترد في المقررات على الاطلاق فكيف بالكلام عن الأركان ؟ فالسفر لحج بيت الله الحرام والسفر لأي بقعة أخرى من الأرض لمجرد النزهة في مقرر اللغة الفرنسية سيان !

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد ينتقدنا البعض فيما ضربناه من أمثلة عن غياب النشاط الديني من المجتمع الموصوف في المقررات بقوله أننا نحمّل درس اللغة الفرنسية ما لا يحتمل ونريد منه أن يكون درسا دينيا لا درسا لغويا غايته تمكين الطفل من النطق والتعبير باللغة الفرنسية، ولطمأنة هؤلاء نقول أننا لا نريد من درس اللغة الفرنسية أن يقوم مقام درس التربية الإسلامية فينص على أن الفجر ركعتان والظهر أربعة، ولكننا لا نرضى من درس مادة تصف الحياة الاجتماعية للمواطن المغربي وتعتمدها أساسا وقاعدة لتقديم النصوص أن تتجاهل الدين الإسلامي الذي يدين به المغرب وأن تجعل الطفل المولود على الفطرة، يعيش في رحاب مقررات منعزلة عن مجتمعه وما يلاحظه فيه يوميا من شعائر أسلامية. كما أننا لا نعيب على كون جمال أو فريد ذهب إلى البحر أو السينما أو المسرح أو السفر، أو خيم واستجم أو سافر وارتحل، ولكن نعيب على أن يذكرْ ذلك وأضعاف ذلك ويصمت الصمت المريب على كل ذكر لذهاب جمال أو فريد إلى المسجد، أو أدائه للصلاة، أو قراءته للقرءان، أو ذكره لله، أو سماعه للآذان، أو حضوره لدرس ديني.

ب ـ انعدام الرؤية الإسلامية :

1 ـ ورد بقرر السنة الخامسة من التعليم الابتدائي في الدرس المعنون « سكنى البشر (Habitation des hommes) »[15] أن الإنسان الأول، قبل 600.000 سنة، كان يسكن بالكهوف والخيام ويقتات من القنص والصيد وبعض الفواكه، ثم كثر الناس فاجتمعوا على شكل جماعات وتعلموا ترويض البهائم وحرث الأرض، وبنوا بيوتهم من الحجارة وأغصان الشجر، والدرس كله محاط بصور يظهر فيها الإنسان الأول يصطاد ويحرث ويقطف ثمار الأشجار وهو على شكل شبيه بالقرد أو بالضبط،على الصورة التي حددها الانثروبولوجيون الذين تبنوا النظرية الدروينية للإنسان قبل مليوني سنة الى 35.000 سنة والذي سموه « بالإنسان الماهر » وزعموا أنه جد الإنسان الحالي[16].

وهذا التبني غير المباشر من طرف مقرر اللغة الفرنسية لآخر سنة من الابتدائي للنظرية الدروينية المزعومة حول أصل وتاريخ الإنسان إنكار لما صرح به القرآن من أن أصل الإنسان آدم عليه السلام. ودليلنا في ذلك قول الله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ »[17]، أي عكس ما تدعيه النظرية الدروينية، لأن القرآن يصرح أن الإنسان الأول كان في تمام الكمال وحسن الخلقة ونبي من أنبياء الله، ثم هوت ذريته من بعده إلى أسفل سافلين إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وقوله تعالى : « إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ »[18]،فسجود الملائكة لآدم عليه السلام دلالة على تشريف الله له وتكريمه، وقوله تعالى نفخت فيه من روحي يتناقض مع النظرية القائلة بأن أصل الإنسان قرد أو غيره من الحيوان. وقوله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً »[19]،وليس من التكريم في شيء أن يكونوا قردة أو أن يعيشوا عيشة الوحوش التي يزعم البعض أنهم كانوا عليها انطلاقا من نظريات وافتراضات غير ثابتة. ولقد ضرب الله لنا المثل في غير ما آية من القرآن عن القرون التي خلت من قبلنا وعن شعوبها مشيرا الى أنهم كانوا أشد قوة وآثارا في الأرض، وأنهم عمروها عمرانا وكان لهم بها جناتٌ وعيون، واتخذوا فيها مصانع لعلهم يخلدون، فهل هؤلاء على وصف ما ترويه لنا نظريات وافتراضات الخلق والنشء لبني الإنسان مثل ما ورد في الدرس المذكور ؟ إن إيمان الطفل بأن الإنسان قبل 600.000 سنة كان على ذلك الشكل الحيواني، مع أن القرآن يخبرنا أن الخليقة منذ آدم عليه السلام لم ينقطع عنها بعث الأنبياء والرسل ليذكروهم بربهم وشديد عقابه وعظمة رحمته وعطائه، سيجعله يومن بحقبة من حقبات التاريخ المفترض والمزعوم للجنس البشري ،وأقرب الى الإيمان والتمسك بتلك الرؤية الحيوانية المفترضة لتاريخ الإنسان،وأكثر بعدا ونفورا من التصديق بالرؤية الإسلامية لماضي البشرية.

من التربية في الاسلام

كلما ذكر الفرد أو المجتمع في نص من النصوص،برز الإسلام كمذهب لتصرفات ومعاملات ذلك الفرد أو المجتمع، وكلما ذكر الكون أو الطبيعة في درس من الدروس، تجلت عظمة الله ودلائل وجوده في كمال ودقة خلقه في ذلك الكون أو تلك الطبيعة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

2 ـ لم يتحرج درس السباحة في إظهار صور لنساء « بالمايو » يسبحن مع الرجال[19]، ونحن نعترف بأن هذا واقع نعيشه حيث اختلاط الرجال بالنساء في شواطيء البحار، ولكن نعلم كذلك أن الإسلام حرم أن تُظهر المرأة زينتها لغير ذي محرم، فكيف بها عارية أو شبه عارية أمام من هب ودب من الخلق ؟ ومن أراد الدليل الشرعي في ذلك فليرجع لقول الله تعالى : « قُلْ لِلْمُومِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ. إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُومِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ. وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »[20].

لقد كان الأولى من درس اللغة الفرنسية أن يتجنب ما يعيشه المجتمع من خروقات لشرع الإسلام أملا في تحسين الوضع المتردي الذي تعرفه أغلب الشواطيء في البلاد وقت الصيف.

إن السباحة من الرياضات الهامة والنافعة التي حث الإسلام على تعلمها حيث أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نعلم أطفالنا السباحة، ونحن حين نعيب على شواطئنا وضعها المتردي نعيب الاختلاط والسفور وما يصاحب ذلك من لهو ومجون ضار بالمجتمع مشجع للزنى والفحشاء والمنكر، راجين أن تخصص شواطيء للنساء كما خصصت شواطيء لبعض الأندية.

3 ـ ذكر السجائر دون أدنى تعليق (21)، ونحن نعلم أن بعض الجمعيات الوطنية والهيآت الدولية وبعض الحكومات الغربية والعربية تبذل الأموال الطائلة في محاولة محو آثار التدخين ودعوة الناس إلى الامتناع عن شربه، ومقرر السنة الأولى من تلقين اللغة الفرنسية لا يكتفي بذكر السجائر كنوع من أنواع الفواكه أو الخضراوات، بل لا يرفق الصورة وإسم السجائر بأدنى ملاحظة، ولو علق على الصورة بقول « التدخين مضر بالصحة » لكان أفضل، وإن كنا نرى الاستغناء عن ذكر السجائر في تلك السنة من التعليم أليق وأحسن. والملاحظ أن ذكر السجائر جاء للتعبير على حرف « C »، وكلمة قرآن بالفرنسية تبدأ بنفس الحرف « Coran »، وبذلك فصورة للمصحف الشريف أولى بالذكر وأحق بالنشر من صورة السجا ر المؤذي.

4 ـ حشو عقل الطفل بأساطير وأحجيات لا واقع لها ولا يعقل تصورها، كتلك التي وردت في درس « سندباد في خطر »[22]، حيث عزم سندباد على السفر الى الصين، وفي الغابة خطفه أحد النسور ووضعه في جزيرة نائية، ثم بفضل عروسة البحر ينجو سندباد من الهلاك حيث أخرجته هذه الأخيرة من الجزيرة، والدرس مرفق بصورة لعروسة البحر نصفها الأول آدمي ونصفها الآخر حوت، وسندباد بشكله التلفزي على ظهرها، والعاقل يعلم أن عرائس البحر لا وجود لها إلا في أساطير اليونان !

5 ـ ذكر ألعاب اللهو والميسر وضياع الوقت مثل لعبة « الداما » ولعبة « الدومينو »[23]، رغم أن لعب « الدومينو » غير مألوف ومجهول عند أغلب المواطنين بالمغرب، وغريبة هذه التزكية من طرف مقرر السنة الأولى من تلقين اللغة الفرنسية للعبتين مضيعتين للوقت للكبار والصغار بدل التركيز على لعب تنمي الفكر وتنشط الذهن. والأغرب أن كلمة « دومينو » (Domino) وردت للتعبير عن حرف « D »، وإسم الله بالفرنسية يرمز اليه بكلمة (Dieu) التي تبتدىء بنفس الحرف وهي أولى بالذكر، وإن كان ولابد من الصورة فليرمز إلى طفل في هيأة صلاة أو رافعاً يديه يدعو كأن يقال مثلا : « منير يدعو الله كثيرا » أو غير ذلك.

6 ـ إبراز بعض الدروس للوجه السيء من الطفل كالشراهة والاعتداء ونحوهما دون التعليق على ذلك بما يستحق من الدعوة الى التخلق بالخلق الحسن من طيبوبة في المعاملة، وقناعة في الأكل،وحلاوة في الكلام. ونكتفي بذكر ثلاثة دروس من كتاب السنة الرابعة[24] :

- الأول عنوانه : « أقلام الألوان (Les crayons de couleur) »[25]، ورد فيه أن نبيلا أطلع حسنا على علبته لأقلام الألوان، فبدأ يتدولها بالاطلاع تلاميذ القسم الواحد تلو الآخر، وعندما دق جرس الاستراحة، جمع نبيل ألوانه إلا أنه لاحظ غياب القلم الأصفر. وفي الساحة يتبادل التلاميذ التهم، فرضوان يدعي أن القلم عند ياسين ويضحك الجميع إلا ياسين الذي يتجه نحو رضوان ويلكمه على أنفه، ويقول الدرس بما أن رضوانا لا يحب اللكم، لكم بدوره خالدا الذي انطلق صوب نبيل ولكمه ثم تسقط الأقلام ويدخل الجميع في صراع محتد. أما نبيل فيعود بأقلامه المنكسرة الى منزله غضبان وهنالك يسمع والده يصيح عندما كسر برجله قلمه الأصفر أمام باب غرفة الضيافة، وينتهي الدرس.

ونلاحظ أن الدرس منسوج على صراعات أفلام رعاة البقر الذين بعد سكرهم بإحدى الحانات، يلكم بعضهم البعض دون ذنب سابق ويكسرون زجاج الحانة وكراسيها وكل ما هو تحت أيديهم، وحتى بمثل هذه الأقلام نرى « شريف » المدينة يتدخل ليضع حدا للصراع والمضاربة، أما مدرسة نبيل، فحارسها العام ومديرها وأساتذتها وجل مسؤوليها في غياب تام عن ما يجري في الساحة، أغلب تلامذة القسم يتبادلون اللكم ويسقطون أرضا يضرب بعضهم بعضا ولا من ينبه إلى أن ذلك يعتبر من سيء الاخلاق ودنيئها، ولا أحد من التلاميذ يتقدم فيصلح بين أصدقائه،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع العلم أن الدروس يراد منها التربية قبل تعليم اللغة، وليس من التربية ذكر أطفال يعتدي بعضهم على بعض، ويلكم أحدهم الآخر، دون التعليق على ذلك بما يستحق من احترام لحرمة المدرسة، وعدم الضوضاء والمشاجرة وقت الاستراحة، واجتناب الغضب والاعتداء على الغير.

ونعيد الكرة بالقول أن هذا الوصف إذا كان ينطبق على سكارى رعاة البقر فانه لا ينطبق على مجتمعنا المغربي، فأن يضرب رضوان خالدا ويرد خالد على رضوان أمر طبيعي بكل أنحاء العالم، ولكن أن يضرب ياسين رضوانا فيتجه رضوان الى خالد يلطمه وينطلق هو بدوره إلى نبيل يلكمه فهو أمر غير معتاد عند أطفال هذا البلد، حتى سيئو الخلق منهم، وإن كان المهم عندنا غياب الإرشاد والتنبيه لسوء هذا النوع من التصرف من طرف التلاميذ داخل وخارج المدرسة، وعدم اغتنام فرصة الدرس للإشارة الى أن الإسلام يأمر بالسماحة والعفو والصلح بين المتخاصمين وعدم الاعتداء على الآخر، واحترام قوانين المدرسة وغير المدرسة.

- الثاني عنوانه : « لعبة العروسة (Le jeu de la mariée) »[26]، ورد فيه أن البنات كن يلعبن لعبة العروسة، إذا بطفل يحثو بيديه حفنة من تراب ويلقيها في وجه العروسة وتصيح وينزعج الجميع ويركضون، ثم يذكر الدرس أن امرأة جاءت توزع الصفعات على الصبية وتحمل البنت كحملها لعلبة من العلب إلى أمها. فهذه المرأة لم تنكر على الطفل فعلته، أو أدركت التي ذر في عينيها التراب، بل وزعت الصفعات على الصبية وأخذت البنت لأمها، فالطفل المعتدي لم يذكر الدرس أنه صُفع، أوزُجر أو عُوقب أو نُبه الى عدم الاعتداء على الغير، ولكن البنات صفعن،كأن البنات لاحق لهن في اللعب، أو يعتبرن مسؤولات عن كل شجار يقع وإن لم يساهمن فيه.

- الثالث عنوانه : « الطفل الشره (Lénfant gourmand) »[27]، يحكى فيه أن فريدا أتى على الأكل كله الذي أعدته أمه، وبما أن الأكلة كانت رأس كبش فإن الأم تسأله بعد ان ترك الرأس عظاما عن عينيه وأذنيه ولسانه وجلده،ويجيب أنه قد يكون أعمى أو أخرس أو أبكم أو أقرع،ثم ينتهي الدرس دون أدنى إشارة الى ضرورة القناعة في الأكل وغيره، فلا أم فريد الغاضبة تنبهه الى ضرورة الاتصاف بالقناعة وأن الشره والنهم في الأكل لا تنفع في علاجه المراوغات الكلامية، ولا ذكر بأن والد فريد ذكّر ابنه بوجوب التأدب بآداب الإسلام في الأكل والشرب وأنه من العيب الأكل قبل الناس علاوة على أكل حق الناس، لقد غاب الإسلام فغابت تعاليمه!

وأخيرا، نرى أن نكتفي بهذه الملاحظات البسيطة حول مقررات اللغة الفرنسية بالمرحلة الابتدائية بعد أن تجلى لنا في الأمثلة التي ضربناها غياب النشاط التعبدي وانعدام الرؤية الإسلامية السليمة من نصوصها ودروسها. مع الإشارة إلى أن قاصمة الظهر في هذه المقررات هي عدم ذكر الموت. فحياة الأسر النموذجية التي نسجت عليها الدروس أبدية وألزية وعجائزها لا يموتون ولا تعرف حزنا ولا مأتما، فالطفل ينهي المرحلة الابتدائية وهو لا يعرف ما سيقوله لجاره أو لصديقه الأجنبي، أو ما يقوله الفرنسي لأخيه الفرنسي حين يصاب بفقدان أحد أهله.وذكرت الموت لكون أضعف ضعاف الايمان يذكر الله حين موت أحد أقاربه، وقلت في نفسي لعل في دروس المقررات ذكر لموت جد أو جدة بعد مرض انعدم معه الشفاء يرغم القائمين على إعداد المقررات على ذكر الله والقرآن والصلاة، ولكن خاب ظني، فالموت لا ينبغي ذكره للاطفال ولا يعتبر نشاطا من أنشطة الفرد بل هو حد نهائي لنشاطه ! واذا علمنا أن المرحلة الثانوية كذلك لم يرد بها ذكر للموت وللتساؤل عن ما بعده وما يصاحب ذلك من صلاة وتذكير بالبعث ويوم الحشر، أدركنا أن عدم ذكره قد لا يكون سهوا أو نسيانا وأنما هو أمر دعت له فسحة الأمل والمسح الناعم الباسم لأوجه الحياة ! حتى الموت في سبيل الله والاستشهاد لاسترداد ما أغتصبه الاستعمار الكافر من أجزاء الوطن جرى عليه ما جرى على الموت العادي ودخل طي الكتمان.

من الدلالة على صلاحية البرامج التعليمية بدولة ما وفعاليتها تكيفها مع الايديولوجية التي تنهجها تلك الدولة عن طريق تغلغلها إلى درجة التشبع في كل المواد.

وهنا، لا يسعنا إلا الاستغراب، والأمل في أن تعيد وزارة التربية الوطنية تحريرها لمقررات اللغة الفرنسية لكونها تصف مجتمعا أقل ما يمكن القول عنه أنه غريب عن المجتمع المغربي. فإذا لم تذكر كلمات الله والرسول محمد عليه الصلاة والسلام والإسلام والقرآن في المقررات، وشطب على المسجد الذي هو المكان الممكن للطفل فيه استدراك ما غاب من المقررات، وغابت الإشارة الى أن يوم الجمعة يوم ذهاب للمسجد، فإن الأقفال قد أحكمت على الدين الإسلامي ووصدت الأبواب في وجهه كي لا يلج فكر الطفل وقلبه من باب اللغة التي كادت تطغى على اللغة الأم، بدل أن يكون من خلالها حاضرا مع الطفل في حركاته وسكناته ورغباته وأشواقه، حين خروجه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للنزهة أو ذهابه للسرك، حين السباحة وحين اللعب، رغم أن ديننا الحنيف ذهب أبعد من ذلك فصاحب المرء حتى في الخلاء وحين قضائه حاجته.

والإصرار على تدريس التربية الإسلامية كمادة مستقلة ومعزولة عن غيرها من المواد الأخرى يجعل ايجابية تدريسها ضربا من المحال، وإقبال التلميذ على تعلمها والاستمساك بأفكارها وتعاليمها شبه منعدم.

إن رغبتنا من دروس اللغة أن تواكب ما يلقن التلميذ من تربية، وأن توقظ مشاعره الخيرة بالمثل والقصة وتنص بما تقتضيه الحكمة على إسلامية المجتمع الذي تحكي عنه، ذلك أنه من خصائص التربية في الإسلام أن تبرز شريعته وأخلاقه في كل تصرفات المسلم مع نفسه ومع غيره، وعلى وسائل التربية في المجتمع المسلم أن تحرص طبقا لهذه الخاصية، على أن يصحب الإسلام التلميذ والطالب في كل مادة من المواد. فكلما ذكر الفرد أو المجتمع في نص من النصوص، برز الإسلام كمذهب لتصرفات ومعاملات ذلك الفرد أو المجتمع، وكلما ذكر الكون أو الطبيعة في درس من الدروس، تجلت عظمة الله ودلائل وجوده في كمال ودقة خلقه في ذلك الكون أو تلك الطبيعة.

إن تناولنا لمقررات اللغة الفرنسية بالابتدائي بالدرس والنقد نتج عن كون الواقع الذي تحكي عنه دروسها غير واقع المجتمع المغربي فضلا عن استحسان التطرق لمجتمع أفضل وأحسن وأمثل من الواقع في مذاهب التربية والتعليم.

2) المرحلة الثانوية

اذا كانت مقررات اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية قد امتازت بكونها اتخذت من حياة أسر وعائلات نموذجية مغربية محوراً لدروسها، وحاولت جاهدة إبراز الحياة الاجتماعية المغربية في نصوصها وإن أخفقت في ذلك، فان مقررات الثانوي تنكرت في معظم دروسها لهذا المجتمع وراحت تحكي عن مجتمعات غربية وتصف واقعا بعيدا عن واقعنا، ومجتمعا غريبا عن مجتمعنا، وتثير تساؤلات بعيدة عن اهتماماتنا الوطنية وواجباتنا الدينية، وإذا ما حدث أن التفتت المقررات الى المغرب فبمنظور غربي تشعر من خلاله بالنظرة الاستعمارية والأسلوب الاشمئزازي الذي حيكت به نصوصه، فحتى الصور لم تنج من هذا التوجيه حيث أغلب الصور بالمقررات عرض لمناظر أوروبية مع وجود شبيهاتها، إن لم نقل أحسن منها أحيانا، في وطننا الجميل.

ويلاحظ المطلع على مقررات اللغة الفرنسية بالثانوي بسلكيه الأول والثاني أنها أعدت بنوع من العجالة حتى أنها سكتت عن كل ذكر لدين المغرب وتاريخه سواء منه القديم أو المعاصر، ولم ترد ولو أدنى إشارة لثقافته الإسلامية ومعالمه الأثرية والتاريخية ومعاركه البطولية التي خاضها ضد المستعمر والتي حركتها الغيرة على الإسلام ووجوب الجهاد في سبيله. وقد تخللت دروس هذه المقررات آراء علمانية صرفة واستهزاء بالدين والإيمان بالغيب سنعرض لبعضها بالبسط والتحليل. ولا نرى فائدة في التأكيد على أن النشاط الديني غائب عن جميع المقررات، لقد أشرنا إلى أنها لا تتحدث عن المجتمع المغربي الا رمزا، فكيف تتحدث عن دينه ؟ وقلنا أنها تهزأ بالإسلام فكيف تشرحه أو تدعو إليه ؟

إن عرض نصوص تمس بالدين وبمقدسات الأمة لا يبرر وجودها في المقررات الإشارة الى كاتبها الأجنبي الذي اقتبست عنه أو الكتاب الغربي الذي نقلت منه، فكيف يفلح درس التربية الإسلامية في بناء الفرد المسلم وتعريفه بدينه ودرس اللغة الفرنسية يدعو لنبذه والنفور منه ؟ لقد أشرنا في بداية مقالنا إلى لزوم وجود ترابط بين تدريس الدين وتدريس باقي المواد، فكيف نقبل ونرضى بالعكس ونعزل درس التربية الإسلامية في قصره البهيج المنعزل عن البلاد والعباد، ونطلق العنان لدرس اللغة الأجنبية يصول ويجول في تركيزه على أساطير آلهة اليونان، وتزكيته ودعوته للسفور والتبرج، واستهزائه بالإسلام وبشعائر الإسلام ؟

إننا سوف لا نعرض لمقررات الثانوي كتابا كتابا[28]، ولكن سنلخص ملاحظاتنا في بعض النقط التي نرى من الواجب ذكرها وإثارة الانتباه اليها عسى أن يتحرك المسؤولون بوزارة التربية الوطنية فيدركوا خطرها وسوء أثرها في تربية أطفالنا وفلذات كبدنا بإعادة صياغتها طبقا لما يقتضيه المنهج السليم والاخلاص لله والنصيحة لعباده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتجدر الإشارة الى أننا خلال عرضنا لملاحظاتنا الموجزة حول مقررات الثانوي رأينا من اللازم نقل الدرس أو الجزء الذي يهمنا من الدرس بنصه الفرنسي كما ورد في كتاب المقررات مرفقا بترجمة لمعانيه رغبة منا في أن نكون أمناء عند النقل، نزهاء حين النقد، ولنظهر اننا لا نتقول على المقررات، فلقد تركناها تتحدث بنفسها عن السموم التي انسلت من بين ثناياها، مردفين بعد ذلك شرحها ونقدها بما تيسر لدينا من أفكار ومعلومات.

أ - جهل بالإسلام :

ورد بكتاب اللغة الفرنسية للسنة السادسة من التعليم الثانوي، شعبة الآداب، درس عنوانه : « هذه الآلهة التى يعظمها الهنود »[29]، فيه إشارة للمسلمين ولصلاتهم لا تمت الى الإسلام والمسلمين بصلة، زيادة على وضع الإسلام والبوذية في نفس الكفة، ثم ادعاء أن الأديان لا يفهمها إلا من خصص حياته للغوص في أدغالها لعله يرى فيها بصيصا من نور. يقول الدرس :

هذه الآلهة التي يعظمها الهنود

« يجتمع المسلمون لأداء صلاة جماعية أسبوعيا، ويسجدون جميعا تجاه مكة مرتلين بلحن جماعي آيات من القرآن. أما الهندي فيصلي وحده، مختارا بنفسه إلهه الشخصي، المنبثق عن الإله الواحد، في مجمع من الأرباب مدهش يحوي 3 ملايين من الآلهة. **إن الدين دغل من الأدغال معقد بحيث أن بعض الأولياء وحدهم، الذين خصصوا حياتهم لدراسته، يستطيعون أن يروا فيه بصيصا من النور** ».

دومينيك لابيير ولاري كولينس
(هذه الليلة، الحرية)

• **أولا** : الدرس فيه من السموم ما فيه، ولكن هذه الفقرة وحدها تكاد تكفي إما لتفجير غضب التلميذ الشديد الإيمان على المقررات ودرس اللغة الأجنبية الأولى[30]، وإما لقتل ما تبقى من اليقين وآثار الفطرة عند التلميذ ضعيف الإيمان. على كل، فهذه القنبلة « اللغوية » بمفردها كافية لهدم ما بناه درس التربية الإسلامية منذ سنوات التعليم الابتدائي !

• **ثانيا : لو أطلعنا على هذا الوصف في مقرر من مقررات اللغة ببلد غربي لجاز لنا أن نكتب للسلطات ونشتكي لدى المسؤولين منبهين إلى أن الوصف الذي وصفت به صلاة المسلمين غريب عن الإسلام وعن شعائر الإسلام، وداعين إياهم إلى وصف شعائر الإسلام بالوصف الصحيح كما نص على ذلك دينه وتعاليمه، فكيف ونحن في بلد مسلم وأهله مسلمون منصوص في دستوره على أن دين الدولة الرسمي الإسلام، والوصف في مقرر رسمي أقرته سلطات رسمية ؟!**

• **ثالثا** : الجهل بالإسلام وبتعاليمه وعباداته صريح في الجزء الذى أوردناه من الدرس، فالتلميذ الذي حان وقت بلوغه في هذه السنة من التعليم يفهم من الدرس أن المسلمين يدينون بدين معالمه كالتالي :

- يجتمع أفراده مرة واحدة في الأسبوع لأداء الصلاة،
- صلاته هذه عبارة عن سجود تتلى فيه آيات القرآن بلحن جماعي،
- لا يفهم طلاسيمه إلا خبير بشؤون الدين كرس عمره لدراسته.

أما إذا اجتمع جهل المقررات بجهل الأستاذ، فتلك هي الطامة الكبرى ! ولينعق درس التربية الإسلامية ما شاء، فهذه القنبلة الموقوتة لن يتدارك انفجارها إلا أستاذ اللغة الفرنسية العارف بدينه، المدرك لمسؤولياته تجاه ربه ومجتمعه.

8 - CES DIEUX QUE VENERENT LES HINDOUS

1 — Les musulmans se regroupent pour une prière commune hebdomadaire, se prosternent ensemble en direction de La Mecque et psalmodient en chœur les versets du Coran. L'hindou prie seul, choisissant lui-même son Dieu personnel, émanation (1) du Dieu unique, dans un panthéon (2) stupéfiant de trois millions de divinités. La religion est une jungle si complexe que seuls quelques saints hommes, ayant consacré leur vie à son étude, peuvent y voir clair.

Dominique LAPIERRE et Larry COLLINS
(Cette nuit la liberté)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

• رابعا :وضع الدرس الإسلام والبوذية في كفة واحدة، وشتان ما بين لإثنين، فالإسلام دين سماوي رباني له من الآيات والبراهين ما يدل على صحته ويشهد على حقيقة شريعته، أما البوذية فدين بشري مزعوم أسطوري وخرافي لا يستند إلى حجة ولا يدعمه دليل. والأدهى من مساواة البوذية بالإسلام، أن فقرات الدرس الباقية والتي لم نر فائدة في عرضها استمرت في شرح البوذية ونظرتها للكون، ولم تذكر الإسلام بشيء إلّا إشارة تشير الى أن اختلاف الإسلام عن البوذية ليس على المستوى الميتافيزيقي فحسب، بل كذلك على المستوى الاجتماعي. ولعله من لطف الله بالتلميذ أن سكت الدرس عن شرح نظرة الإسلام للكون والمجتمع، وإلّا لكان طلع علينا بوصف أغرب من وصفه للصلاة ولجعل بين الإسلام والبوذية صلة ونسبا !

• خامسا : هنلك إشارة خفية، بل جلية، الى أن الهندي يتمتع بالحرية في دينه أكثر من المسلم حيث أن الأول لديه حرية في اختيار الهه الشخصي، المنبثق عن الإله الواحد، في مجمع يضم ثلاثة ملايين من الآلهة (!) ويفهم التلميذ من كلمات الدرس ومفرداته أن الهنود في هذا الباب أفضل حالا من المسلمن الذين هم ملزمون بالاجتماع أسبوعيا لقراءة القرآن جماعة وهم سجود، بيد أن الهنود يتمتعون بالانفراد بالصلاة وحرية اختيار الاله في عالم لاهوتي، لا يمكن أن يضيق به صدرهم، يضم 3 ملايين إله !!

• سادسا : خُتمت الفقرة بعبارة علمانية صريحة مفادها أن الدين دغل من الأدغال، لا يستطيع الغور في غاباته الكثيفة إلا الأولياء المتخصصون المتفرغون لدراسته، ويلزمهم قضاء عمرهم في الدراسة والبحث عساهم يجدون فيه بصيصا من النور. وتأتي العبارة بعد ذكر دين المسلمين ودين الهنود، والإشارة الى صعوبة التوفيق بين الأديان ودراسة عالم لاهوتي يضم 3 ملايين إله (!)، والاستحالة على غير الراهب والفقيه الزاهد معرفة شيء من الدين أو فهمه، ولو أنفق في ذلك جل أوقاته وسنوات حياته ما استطاع أن يتعرف في تلك الأدغال إلا على الشيء اليسير، ولعمري إنها لدعوة صارحة واضحة وضوح الشمس نهارا لنبذ الدين والنفور منه بإظهاره عسير الفهم شديد الظلمة في الأفكار كثير التعقيد في الآراء، **ولم يذكر الإسلام أول الدرس إلا ليدخل في سياق العبارة المذكورة التي يريد النص أن يجعل منها قاعدة عامة تجري على جميع الأديان بما فيها الإسلام. فمتى كان الإسلام عسيرا ؟ ومتى صعبت دراسة الإسلام ؟ ومتى كان في الإسلام رجال دين ينحصر فهمه فيهم ؟ ومتى كان الإسلام يدعو للرهبنة ويطلب من الفرد تخصيص عمره لدراسته والانشغال بفقهه طول الحياة دون سواه ؟ وكيف أصبح الإسلام دغلا من الأدغال وغابة مخيفة من الغابات ؟ وكيف أضحى الإسلام بالمقررات صلاة اسبوعية يقرأ فيها المومنون به آيات القرآن وهم سجود ؟ اللهم إن هذا جهل بالإسلام نستنكره، ودعوة لنبذه نرفضها، آملين أن تتحرك غيرة المسؤولين فيزيلوا مثل هذه السموم.**

• سابعا : بعد كل ما ذكر، يستغرب البعض من نفور التلاميذ خاصة في السنوات الأخيرة من الثانوي، من درس التربية الإسلامية ويعجبون لكثرة الغياب في فتراتها، وهذا درس اللغة الأجنبية يهمس في أذن كل منهم : « لا حرج عليك في عدم الاهتمام بدرس التربية الإسلامية أو الغياب عن فتراته، ولا ذنب عليك إن لم تعمل بما يوصيك به، فانك لن تفهم محتواه ولو كرست لذلك جل أوقاتك وسنوات عمرك » !

إن الدين دغل من الادغال معقد بحيث أن بعض الاولياء وحدهم، الذين خصصوا حياتهم لدراسته، يستطيعون أن يروا فيه بصيصا من النور.

السنة السادسة من التعليم الثانوي

• **ثامنا وأخيرا : ما هي الفائدة الفكرية واللغوية من ذكر مثل هذه الدروس واقتباسها ؟ وما الداعي لاختيارها دون سواها ؟ هل نفتقر الى النصوص ؟ فعديد هم الكتاب والمستشرقون الذين كتبوا عن المغرب وأحسنوا الكتابة من فرنسا نفسها، وكثير هم الكتاب المسلمون الذين كتبوا عن الدين الإسلامي والمجتمعات الإسلامية بالفرنسية** أمثال الدكتور عبد الله دزار في كتابيه « مدخل لدراسة القرآن » و « دستور الأخلاق في القرآن » اللذين كان لهما دوي وصدى بفرنسا وخارجها ونال بهما درجة الدكتوراه بميزة حسن جدا من أكبر جامعة فرنسية[31]، وأمثال مالك بن نبي المفكر الجزائري المشهور صاحب المؤلفات العديدة بالفرنسية وعلى رأسها كتابه « الظاهرة القرآنية » والتي لا يجهلها المثقفون المهتمون بالعالم الإسلامي بالديار الفرنسية ومفكرو هذا العالم نفسه، عليهما رحمة الله معا، **وجرائدنا الوطنية بالفرنسية قبل الاستقلال وإبانه فيها من النصوص الهامة والنافعة من طرف رجالات الفكر وقادة الكفاح ما يغني عن نشر هذه السموم والافتراءات على ديننا الحنيف.** ولو ذكر الإسلام ذكرا يليق بمقامه في درس آخر لهان الأمر، فكيف اذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غاب شريعة وإخلاقا من مقررات اللغة الفرنسية بالثانوي بأنمها ؟ لقد أحكمت المقررات أقفالها عن الإسلام، فبعد أن جرد وصف المجتمع من كل ما هو ديني في المرحلة الابتدائية، انسلت الى نصوص المقررات أفكار علمانية بالمرحلة الثانوية ! ومن حاك في نفسه أننا نبالغ،فليرجع إلى نصوص المقررات وليعكف على دراستها وتحليلها، فلا نخالف أنه سيشاطرنا الرأي إذا كانت له غيرة على دينه وحب بأن يرى الإسلام شامخا في وطنه.

2 ـ جاء في درس من دروس مقرر السنة الخامسة من الثانوي، شعبة الآداب، عرض للحياة الدينية التى كانت تعيشها مجتمعات المغرب العربي قبل استعمار الجزائر العاصمة،أي في ثلاثينات القرن الماضي،مقتبسا عن لوسيت فالانسي[32]. ورغم أن العرض فيه بعض الحقيقة عن واقع تلك المجتمعات إلا أنه لا يعد بحال من الأحوال وصفا للدين الإسلامي الصحيح والمجتمع الإسلامي الأصيل. ولو انفرد درس واحد من الدروس الواردة بالمقرر بعرض سليم للدين الإسلامي والمجتمع الإسلامي لما عاتبنا على الدرس المذكور مهما فيه من شبهات. ولكن غياب الفهم السليم والعرض الأمين لمفهوم الإسلام ونظرته للكون والحياة يجعل من الدرس المشوب بالنظرة الاستعمارية الساخرة درسا خطيرا على فكر التلميذ وفهمه لدينه الحنيف. وفي ما يلي ترجمة الدرس بأتمه مردفا بملاحظاتنا حول ما جاء فيه :

« في مجتمعات المغرب العربي، تجري الحياة الدينية في محيط اجتماعي محدود. مسجد على الأقل في كل قرية، أو خيمة تقوم مقامه في الدواوير، كل منهما يستعمل كذلك كمدرسة للأطفال، كتعبير عن اعتناق الإسلام وتيسير لأداء الواجبات الدينية. لكن للمسجد إضافة في كل أنحاء المغرب العربي، ألا وهي ضريح الولي المحلي. هذا الأخير في كثير من الأحيان من الأسلاف، وأحيانا هو المؤسس الواهب إسمه للقرية، يعبر عن الانتقال على الصعيد الديني للهيكل العائلي الذي بنيت عليه الجماعة. في الحقيقة كل قبيلة تؤمن بعدة أولياء وزعت أضرحتهم على أرضها ويخضعون لشعائر تنقص وتزداد حماسا.

إن دورهم الفلاحي أكيد، الولي هو الحافظ لمواسم الحصاد، وخزائن الحبوب غالبا ما تكون بجنب الضريح. أنه يبعد اللصوص، ويستعمل أحيانا كملجأ، يصعب حتى على الحاكم أن ينتهك حرمته. كثيرا ما تعبر أسطورة الولي عن دوره الفلاحي، إما أن معجزاته مكنت الجماعة من مواجهة الضرائب، وإما أنه فجر الينابيع لسقي الأراضي القاحلة، الخ...

أبعد من ذلك، الولي له دور اجتماعي في المحافظة على وحدة الجماعة، إن القيام بشعائره يمكّن من تنظيم تظاهرات جماعية، حج سنوي إليه قبل أو بعد فترة الأشغال الفلاحية الكبرى : أعياد النذور ـ العوّادة ـ التي للأكل المشترك فيها دلالة على الاتحاد بين أعضاء الجماعة أو الالتحام بين القبائل المختلفة : « الزوايا ». هذه الأخيرة بخلاف الأضرحة، يتعدى نفوذها حدود القبيلة أو القرية وحدود حلفائها. إنها تضم المومنين من كل الأنحاء الجغرافية وتعتبر وسيلة تمكن الفرد من التخلص من إطاره العائلي الطبيعي واختيار إطار آخر. إن الانضمام إلى « زاوية » يصدر عن مسعى فردي. هذا الشكل الديني ذي الحيوية الكبرى في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، يدمج الإسلام القوي في مجموع الأمة الإسلامية أكثر من شعائر الضريح.

إنه لم يفلح في الاندماج إلا بصعوبة : الإسلام هنا لم يمحو آثار العقائد الفلاحية التى لا تدين له بشيء، كتلك الاحتفالات بمناسبة عاشوراء التي يحييها البرابرة في الأطلس الكبير والأطلس المتوسط بالمغرب : احتفاء بذكرى موت عجوز، يقيم البرابرة مآتم احتفالية : ثم يحتفلون ببعثه في شكل رجل شاب يزوجونه بإلهة الخصوبة. هذا الزواج يتبعه عيد حب يحتفل فيه بزواجات الحلف. في النهاية تحرق إلهة الخصوبة. هذا الطقس للاتحاد الجنسي وللخصوبة موجه

Texte 26

Dans les sociétés maghrébines la vie religieuse s'organise dans un espace social restreint. Une mosquée au moins, dans chaque village, une tente qui en tient lieu dans les douars, l'une et l'autre servant aussi d'école aux enfants, symbolisent l'adhésion à l'islam et permettent de s'acquitter de ses devoirs religieux. Mais la mosquée a pour complément dans tout le Maghreb le marabout, le Saint local. Celui-ci, souvent ancêtre et parfois fondateur éponyme (1), est la transposition sur le plan religieux de la structure familiale sur laquelle repose la société. En réalité chaque tribu reconnait plusieurs marabouts dont les tombes sont dispersées sur son territoire et font l'objet d'un culte (2), plus ou moins fervent.

Leur fonction agraire est certaine — le marabout est le protecteur des moissons, les réserves de grains sont souvent entreposées auprès du tombeau — : il éloigne les voleurs : il sert parfois d'asile, que le souverain lui-même craindrait de violer. Très fréquemment, la légende du saint exprime cette fonction agraire, soit que ses miracles aient permis au groupe de faire face à l'impôt, soit qu'il ait fait jaillir l'eau fécondante dans les terres stériles, etc...

Mais plus encore, le marabout a une fonction sociale, de conservation de l'unité du groupe. Son culte, en effet, donne lieu à des manifestations collectives : pélerinage annuel avant ou après la période des grands travaux agricoles : fêtes votives — ouada — où le repas partagé est l'affirmation de la solidarité entre les membres du groupe ou de l'alliance entre tribus différentes : les confréries. Celles-ci au contraire des marabouts, débordent les frontières de la tribu ou du village, et de leurs alliés. Elles rassemblent des fidèles de toutes provenances géographiques. Elles sont un moyen pour l'individu de s'affranchir du cadre familial naturel, et d'en choisir un autre. L'adhésion à une confrérie procède d'une démarche individuelle. Cette forme religieuse, d'une grande vitalité à la fin du XVIIIe siècle et au début du XIXe, plus que le culte des marabouts, intègre l'islam rural à l'ensemble de la communauté musulmane.

Elle n'y réussit qu'imparfaitement : l'islam, ici, n'a pas fait disparaitre des rites agraires qui ne lui doivent rien. Telles ces cérémonies de l'achoura que célèbrent les Berbères du Haut Atlas et de l'Anti-Atlas marocain : commémorant la mort d'un vieillard, les Berbères lui font des funérailles solennelles : puis ils fêtent sa résurrection (3) sous l'aspect d'un jeune homme qu'ils unissent à une « déesse » de la fécondité. Cette union est suivie d'un fête d'amour au cours de laquelle les mariages du clan sont célébrés. Enfin, la « déesse » de la fécondité est brûlée. Rite d'union sexuelle et de fécondité destiné en même temps à soutenir le soleil dans sa course, cette cérémonie est étrangère à l'islam orthodoxe et le Maghreb en connait bien d'autres. Les régions berbérophones apparaissent ainsi comme les meilleurs conservatoires des religions pré-islamiques. Plus on s'éloigne vers l'est, moins elles ont laissé de témoins.

D'après Lucette VALENSI
« Le Maghreb avant la prise d'Alger »

Texte de 512 mots à résumer en 130 mots environ.

(1) **Le fondateur éponyme :** *se dit d'une divinité, d'un saint qui donnant son nom à une ville l'a sous sa protection.*
(2) **le culte :** *honneurs que l'on rend aux dieux, aux saints*
(3) **la résurrection :** *retour de la mort à la vie.*

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلك وفي نفس الوقت للشمس قصد تمكينها من المضي في مجراها. هذا الاحتفال غريب عن الاسلام الاصيل. والمغرب العربي يعرف كثيرا من أمثاله. إن المناطق الناطقة بالبربرية كما يبدو أحسن المستودعات الحافظة لديانات ما قبل الإسلام، وما أن ابتعدنا نحو الشرق، إلا وقلت آثارها ».

عن لوسيت فالانسي
(المغرب العربي قبل الاستيلاء على الجزائر)

• أولا : قبل التطرق لما جاء في موضوع الدرس، لابد من الإشارة إلى أن التلميذ في هذه السنة من التعليم الثانوي (الخامسة) قد أدركته فترة المراهقة بعد أن ناهز البلوغ، وأصبح يطرح تساؤلات فلسفية عن حقيقة ما حوله، ويرى بعين النقد التصرفات الاجتماعية والدينية والثقافية لأفراد محيطه الاجتماعي، ويسعى باحثا عن الحجج والبراهين المؤيدة أو النافية لكثير من هذه التصرفات، مما يستلزم بذل أقصى الجهود في هذه الفترة من التعليم تربويا وثقافيا لمد التلميذ بما يحتاجه وما هو ضروري له من الزاد الثقافي والفكري. لكن الملاحظ أننا نرى تطبيق عكس ما نتوخاه كمسلمين ونتمناه، فهذا الزاد قد تم إعداده بالفعل، وتشكلت وتنوعت أطباقه الا طبق الإسلام فلا أثر له على مائدة اللغة الفرنسية التي أعدت لإشباع عقل التلميذ.

• ثانيا : تجدر الإشارة إلى أن الدرس من دروس التلخيص، وتلخيص نص يتطلب مراجعة متتالية ومتكررة لمختلف فقراته، واستيعاباً لما جاء في معانيه، وتأثراً بأفكاره، ثم محاولة شخصية للتعبير عن نفس الأفكار واجتهاداً فردياً لعرضها بمفردات أخرى في كلمات موجزة. ولا يخفى على اللبيب ما لهذه الكيفية من التلقين والتدريس من ايجابية في دفع التلميذ الى الإيمان بأفكار النص واغراق شعوره ولاشعوره في بحر آراء ومعاني فقراته.

• ثالثا : حين دراسته لمثل هذه النصوص، وتناولها بالتحليل قصد تلخيصها، يفتقر التلميذ إلى أدوات البحث والاستنباط التالية :

- المادة التاريخية المحققة والنزيهة للعصر المشار اليه،
- التفسير التاريخي الإسلامي لعصور الانحطاط وما تلاها من تفشي الجهل في الأمة للغة والدين(33)،
- الاحاطة بخطط المستعمر ودوره في طمس المعالم الاسلامية للمجتمعات المستعمرة، وعمله على إحياء العادات الوثنية الغابرة التي تساهم في القضاء على وحدة البلاد بغية بسط النفوذ والاستيلاء على ثروتها.

والافتقار إلى هذه الادوات الاساسية للبحث التاريخي في مجتمع من مجتمعات الامة الاسلامية في ذلك العصر يجعل التلميذ مؤمنا ومدافعا عن تلك الآراء والافكار الواردة في النص، وغير منتبه و لا مكترث لما شابها من رؤية استعمارية ونظرة ساخرة، ومبالغة في وصف التقاليد والطقوس الدينية البعيدة عن الإسلام، وافتراء على مجتمعات المغرب العربي، ودعوة لإحياء ديانات ما قبل الاسلام.

• رابعا : الدرس ينقسم الى قسمين :

- قسم يحكي عن دور الأضرحة في مجتمعات المغرب العربي وما للأولياء المدفونين بها من سلطة خارقة في إنعاش الفلاحة وحفظ الزرع وجمع كلمة القبيلة !

- وقسم يحكي عن غرائب تقع بجبال الأطلس (!) وتعبر عن استمرار اعتناق قبائلها لديانات كانت سائدة قبل دخول الإسلام أرض المغرب.

إن عرض نصوص تمس بالدين وبمقدسات الامة لا يبرر وجودها في المقررات الاشارة إلى كاتبها الاجنبي الذي اقتبست عنه أو الكتاب الغربي الذي نقلت منه

أما بخصوص القسم الأول فإننا لا ننكر أنه إبان عصور الانحطاط وتفشي الجهل والأمية بين شعوب الأمة الإسلامية وانتشار أفكار غلاة الصوفية وسعي الزوايا التي يسيطرون عليها في كسب العديد من الأفراد بغية تشكيل قوة تحذرها السلطة القائمة ونيل مزيد من النفوذ، سادت الأساطير في بعض القبائل حول الأضرحة وأصحابها وقدراتهم الخارقة بعد مماتهم في الدفاع عن القبيلة بإبعاد الشر عنها وجلب الخيرات لها، وعمت الفوضى العقائدية عديدا من مناطق العالم القروي بالأخص الذي كان يفتقر الى العلماء العاملين والدعاة المرشدين المخلصين مما ساهم في كون أفراد تلك القرى والقبائل يضفون أنواعا من القدسية على أضرحة الأولياء الذين كرمهم أسلافهم ويزعمون لهم الخوارق ويبالغون في تعداد كراماتهم. لكن الكلام عن ذلك وحده والمبالغة في إبرازه بتعميمه على قبائل مجتمعات المغرب العربي بأتمها دون أدنى ذكر لما كان يقوم به بعض العلماء والمصلحين في توجيه الناس وإرشادهم لأقوم الطريق وأفضل السبل يعد خيانة في حق التاريخ والدين.

أما بخصوص القسم الثاني من الدرس فإنه افتراء على مجتمعات الأطلس الكبير والأطلس المتوسط بالمغرب، ولو افترضنا وقوع مثل تلك الأحداث المشار إليها بقبيلة ما فإنه من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتب على التاريخ تعميمها على جميع القبائل بجبال الأطلس وختم ذلك بالقول أن مجتمعات هذه الجبال تعد أحسن خزان لديانات ما قبل الإسلام. والحقيقة خلاف لما أشار اليه النص، فأحدث الأبحاث التاريخية الموثوقة والمحققة عن المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر الميلادي أظهرت أن مجتمعات جبال الأطلس كانت لا تدين إلا بالإسلام منذ أن ذاقت حلاوته، وإن كانت البدع قد تفشت في عدد من قراها وقبائلها فلابتعادها عن التطبيق السليم لما نص عليه الإسلام ووقوعها في شباك الشبهات، لا باعتقادها لأديان أخرى أو مروقها من الإسلام. فلقد نشرت كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ضمن سلسلة « اطروحات ورسائل » بحثا هاما يستند الى الوثائق الرسمية والرواية الشفوية المتمثلة في استجواب المسنين من السكان والتقاط مروياتهم المحفوظة والمتوارثة، عنوانه « المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 ـ 1912) » لأحمد توفيق [34]. ومنطقة إينولتان تقع في جبال الأطلس الكبير وقريبا جدا من منطقة الاتصال بالأطلس المتوسط وفيها تقع مدينة دمنات، جاء في هذا البحث حين العرض للحياة الدينية لقبائل أينولتان :

« ينبغي ألّا نتوهم أن قبيلة اينولتان، وغيرها من القبائل المغربية، ظلت إلى القرن الماضي غارقة في تصورات وعبادات وثنية طبيعية، ومعتقدات بدائية كتلك التي يصفها علماء الاجتماع الديني عند قبائل احيائية جنوب الصحراء الافريقية، أو في أرخبيل أو قيانوسيا. فالتوحيد كان منطلق العبادة في جبال الأطلس منذ عدة قرون؛ حتى إن اعتقاد وجود قوى خفية غير عادية أو « بركة » عند المرابطين مثلا لم يكن اعتقادا عاما، بل كان لهؤلاء المرابطين منكرون وخصوم موجودون لا يقلون حماسا عن بعض دعاة السلفية المحدثين. فالإسلام، كعقيدة، قد تغلغل في جبال الأطلس تغلغلا واضحا. **وقد عبر الباحث ادمون دوتي عن هذا الواقع في المحاضرات التي ألقاها بفرنسا عن الإسلام في المغرب، بعد الرجوع من رحلته الدراسية سنة 1902 حيث قال : « عندما نتأمل من بعيد كتلة جبال الأطلس الهائلة، يحلو لنا أن نظن أن هناك، في أماكن غير مطروقة، سكان يحافظون على عادات جد بدائية، والواقع أن ذلك ليس منه شيء،** فسكان بلاد القبائل الكبرى في الجزائر مثلا، يظهرون محافظين على طابع أقدم بكثير »[35].

فهذه الوثائق التاريخية تبرهن على تمسك قبائل جبال الأطلس بالإسلام وتوحيدهم للواحد الديان، حتى المستعمر نفسه، يشهد بعض باحثيه أنهم يحلو لهم أحيانا أن يتوهموا أنه في أماكن غير مطروقة من تلك الجبال، يحافظ السكان على عادات جد بدائية مع أن الواقع غير ذلك، متناقضين مع ما ينقله باحثوه المتعصبون أمثال كاتبة الدرس.

• خـامساً وأخيراً : إن أمثال هذه النصوص التي كان ينشرها مستشرقو المستعمـر وقتئذ كانت تمهد لفصل البرابرة عن العرب، وذلك بالضرب على وتر ديانات ما قبل الإسلام، وزعم أن ما أبتليت به بعض القبائل البربرية (وغير البربرية) من بدع وضلالات كتقديس الأضرحة وذبح النذور في مواسيمها، هو استمساك بما كان يومن به أجدادهم وأسلافهم قبل دخول الإسلام، وان الأصالة تقتضي المحافظة على تلك الطقوس والدفاع عن تلك المراسيم. وما الظهير البربري الذي أصدره المستعمر الفرنسي بالمغرب إلّا تتويج لنتائج تلك الدراسات أمثال التي اقتبس منها الدرس.

ولا ندري كيف سنجعل التلميذ يفتخر بالموقف الذي اتخذه المغاربة يوم صدور ذلك الظهير المشؤوم ويقدره ويعظمه ؟ وكيف ندعوه لتبجيل انتفاضة المغاربة وعلى رأسهم العلماء والفقهاء في جميع المدن والقرى وحثهم الناس للثورة ضد التفرقة التي يريدها المستعمر في المسلمين ورغبته في جعلهم طوائف وأحزابا كل يدين بدينه ويتعصب لطائفته ؟ وكيف سنمكنه من ادراك دور الإسلام في إحباط هذه المؤامرة الدنيئة ؟ كيف كل ذلك ومقرر مادة اللغة الفرنسية يزكي ما كتبه مستشرقو الاستعمار الفرنسي المتعصبون من افتراءات على المجتمعات البربرية وتضليلات عن دينهم ومعتقدهم ؟ **لا نظن أنه خفي على المشرفين على إعداد المقررات وتطبيقها بوزارة التربية الوطنية الدور الذي يلعبه الاستشراق في تهييء المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وإخضاع الشعوب لعمليات الاستيلاب الفكري والعقائدي. « فالاستشراق هو المنجم والمصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين بالمواد يسوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته، وهدم عالم أفكاره، وقد جاء هذا الغزو الثقافي ثمرة لإخفاق الغزو العسكري وسقوطه، ولتربية جيل ما بعد الاستعمار »**[36]. وأملنا أن ينتبهوا لذلك فيزيلوا مثل هذه الدروس السامة من المقررات، فنص مقتبس عن ما صدر بجرائدنا وقت صدور الظهير البربري أولى بالذكر وأحق بالنشر وأنفع للتلميذ.

3 ـ ورد بمقرر السنة السادسة من التعليم الثانوي، شعبة الآداب، درس عنوانه « المدرسة القرآنية » أو « الكتّاب » مقتبسا عن الكاتب المغربي عبد الكبير الخطيبي[37]، فيه تزكية لجهل واضح مفضوح للفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية، واستهزاء بالفقهاء وتلميح لضياع الوقت في الكتاتيب القرآنية. وعبد الكبير الخطيبي معروف بمواقفه المعادية للإسلام والبارزة في ما ينشره من كتب ومقالات، ولا يهمنا الكاتب بقدرما تهمنا تزكية المقررات الرسمية لأفكاره الضالة ونشر مقالاته السامة بين أطفال المجتمع ورجال غده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقول الدرس :

الكتّـاب

لقد عرفت الكتّاب لمدة من الزمن، كان يطلب مني أن أتمرن على فن الخط لأنه، كما كان يردد الفقيه،يوصل رأسا إلى الجنة.. إن اللوحة الصغيرة التي ينبغي أن تتجلى فيها معرفتي بقيت بيضاء مدة طويلة، لم أكن أعرف الكتابة ولا تقليم قلم العود، كنت أضع اللوحة على فخذاي،كرمز عديم الجدوى. أما الفقيه، فهو بطريك (شيخ) قريب من الله بلحيته وسلطته، كان يعلمنا بعض المناهج لتقوية الذاكرة. إن ذاكرتي تنشرح بغموض، ثم تصير بسرعة كتفاحة عفنة. مبكرا عرفت التصرف الفاشل، الإدراك الحسي للغةٍ مزدوجة. وقتي في صياح لما لا طائل تحته لساعات طويلة، مرهق بالصداع، تحت النظر المحتقر للبطريك (الشيخ). أيام وقت متشابه، مختصر في مكان محدود حيث دائرة الأطفال المسجونين في أجسادهم مغلقة حول ألوهية تتلذذ بإحداث الألم لدى الغير. هذا البطريك الذي كانت تعوله جماعة الحي كان يأكل أحيانا بحضورنا، كنا نلتفت تجاه الحائط وهو منهمك في الاستهلاك. وأنا أصيح تجاه الحائط، كنت أحلم بالهروب. لكن مغلوبا، كنت أقاوم الدموع، أقاوم الفشل.

أمام أبي كنت أحني الظهر، وامتثل لأداء دور العبد المتواطىء. كنت أنتقم منه بسرقة النقود لصالح إخوتي أو برسم رعاة بقر متراصين ممسوخين يكادون يحسنون قبض المسدس فوق مكتبه... كنت أشهد كذلك المشاهد الرهيبة للقرع بالعصا على باطن القدم عندما ينفجر غضب السيد. ممسكا للضحية بقوة، كانت تسقط من بعد كلعاب صغير على حصير الصفصاف. كنت أفر وقت الصلاة، وكانوا يصفونني بعديم التربية :"والتقي من جديد بكتيك الشارع "[38].

6 - L'ECOLE CORANIQUE

(L'AUTEUR : *Abdelkébir KHATIBI est né à El Jadida en 1938. Après des études de sociologie en Sorbonne, il publie sa thèse de IIIème cycle sous le titre « Le Roman Maghrébin » (1968). Il enseigne actuellement la sociologie à l'Université de Rabat. Il collabore à plusieurs revues. Il a notamment écrit pour le théâtre : « La mort des artistes », « Le Prophète dévoilé ». En 1971, il a fait paraître « l'autobiographie d'un décolonisé » : « La Mémoire tatouée »*.)

J'avais fréquenté l'école coranique pendant un certain temps. On me demanda de m'exercer à la calligraphie (1), parce qu'elle mène, nous répétait le fqih, droit au paradis. Pour écrire sur la planche en bois, il fallait tailler un roseau fin, le tremper dans une écritoire profonde, et recomposer patiemment les paraboles (2) coraniques jusqu'à la vision chantante.

La petite planche sur laquelle devait se développer mon savoir resta longtemps blanche, je ne savais ni écrire, ni aiguiser la plume de bois ; je posais la planche sur mes genoux : comme un symbole inutile. Le fqih, patriarche (3) très proche du bon Dieu par sa barbe et son autorité, nous enseigna quelques procédés mnémotechniques (4). Ma mémoire s'épanouit vaguement, puis elle devint vite une pomme gâtée. Très tôt, je connus l'acte manqué, la perception d'un double langage. Mon temps à crier n'importe quoi, pendant de longues heures, assommé par le bruit, sous le regard méprisant du patriarche. Journées d'un temps linéaire, réduites à un espace limité où le cercle des enfants prisonniers de leurs corps se refermait autour d'une divinité sadique (5). Ce patriarche que faisait vivre la communauté du quartier mangeait parfois en notre présence, on se tournait contre le mur pendant qu'il consommait. Criant face au mur, je rêvais de fuite. Désarmé, je résistais aux pleurs, à l'échec.

Devant le père je pliais l'échine, me conformais (6) à un rôle d'esclave complice. Je me vengeais en lui volant de l'argent pour le compte des frères ou en dessinant sur son bureau des cow-boys monolithiques et fades sachant à peine tenir un révolver. Tout cela ne fit aucun drame, je continuais à trimbaler ma vie ennuyé et docile. La rue me prenait, je me faufilais dans le labyrinthe (7) où tout pouvait jaillir : des chats errants, des yeux de femmes entre les portes ou près de la maison, des jnouns derrière les figues de Barbarie. J'assistais aussi aux terribles bastonnades sur la plante des pieds quand éclatait la colère du maire. En tenant la victime de force, elle tombait ensuite, petite bave sur la natte d'osier. Je me débinais (8) au moment de la prière, on me traitait de voyou : je retrouvais la tactique de la rue.

Abdelkébir KHATIBI
(La mémoire tatouée)

• **أولا** : لابد من التعريف أول الأمر بفكر الكاتب المغربي عبد الكبير الخطيبي، ولن نطيل في ذلك، فمن أراد البسط فليرجع الى كتبه ومؤلفاته ومختلف مقالاته، أما نحن فسنكتفي بعرض ما جاء في آخر مقال له في مجلة عربية وقت كتابتنا هذه السطور. فلقد نشرت له مجلة « مواقف » العربية مقالا بعنوان « الجنس في القرآن الكريم »[39]، جاء فيه من الطعن في القرآن والاستهزاء بالأنبياء عليهم السلام ما عجز أو استحيى من ذكره أشد المستشرقين المتعصبين الحاقدين على الإسلام.

ونشير إلى أن بسط ما جاء في المقال ونقده وتفنيده ليس هذا موضعه، ولكن لا نرى بدا من ضرب المثل عن رأي من آراء الخطيبي للجنس في القرآن حتى ندرك ما لاقتباس آرائه وافكاره في مقررات تدرس لأجيال المستقبل ببلدنا من خطورة وسوء عاقبة. يقول الخطيبي عن نبي الله يوسف عليه السلام :

« ... يمكن أن نطرح مسألة هذا الإغواء على النحو التالي : هل يمكن لامرأة أن تعشق طفلا تتبناه وهو نبي مَلَكٌ ؟ أجل هكذا تفكر امرأة العزيز، تجذبه نحو شهوتها وقد اقترحت عليه مجامعتها، قالت له : « هيت لك »، ولكن معنى الملك هو بالضبط ظهور انبثاق لا يسلم نفسه، إن المَلَك يوقظ الشهوة بخداعها، تجن وتهذي، المَلَك نشوةٌ وليس جنسا، ولا يستطيع غير رفض ما تريده المرأة منه، وعلى يوسف، بغية أن يصبح ابنها بالتبني وليس عاشقها، أن يحتفظ بمسافته كنبي وملك، ويصون جماله ليخلصه في هذه الحال من طابعه الجنسي... أكيد أن يوسف اجتذبته زليخة، ولكنه لم يسلم، ولكن، كان على وشك أن يسلم بعد أن همَّ بها، وحينئذ « رأى برهان ربه »، إنه الحد الذي تحتجز فيه الشهوة ويعلقها برهان الله فجأة، وهي قريبة من الإشباع، حد جنوني حيث على النبي الملائكي وغاويته، وقد فقد رشده، أن يستهلكا الشهوة المحرمة « روحيا » فقط، يتوقف الجسد، يتحجر. تمثالان حجريان. لنستأنف. تتكرر، في هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشهد، عبارة « وراودته عن نفسه » عدة مرات. وهي عبارة عادة ما تحاشاها المفسرون والمترجمون في إيحائها الواضح الساطع، أي السعي للمجامعة. وزليخة هي التي، هنا، تحاول. وهذه الدلالة المباشرة يؤيدها « لسان العرب ». ولكن لكي يكون الجنس حلالا أو محرما أو مكروها، فمن الواجب تعريته من مشهد الإغواء، وحتى يفعل الشرع فعله، ويعلق الشهوة، لا مناص من مكائد الإغواء، والفسوق، وشخص ثالث فاسق، وارادة فاسقة، لا حياء لها : إنه الفجور بكل بساطة. وهذا هو معنى حضور الشيطان بين الرجل والمرأة... ويتوقف المشهد حتى تمزق زليخة القميص من الظهر « قدت قميصه من دبره ». إنها استحالة افتضاض المرأة للرجل. أجل بطبيعة الحال. وأكثر من ذلك افتضاض نبي ملائكي. ولكن ضمن هذه الحركة العنيفة، وضمن هذه الحالة الجنونية، **هناك أيضا فرار يوسف، تغيير لوجهة شهوته، انفصال ذاته عن ذاته. كل شيء يتم وكأن يوسف امرأة، بل وكأنه امرأة متمنعة. يمكن لنا القول بانه يلعب دور امرأة، حتى يكون التعارض بين الرجل والمرأة احتفالا بإغواء مستحيل... »**(40).

ويمضي الخطيبي في تفسيره الفاسق التافه الجنوني لآيات القرآن الكريم ونتوقف نحن، لأن الموضوع وقفات مع المقررات، لا سفراً مع الخطيبي في عالمه الأسطوري. فيوسف عليه السلام حسب الخطيبي ملك، يبدأ الشهوة الجنسية ويوقفها وهي قريبة من الإشباع فاقداً رشده، وهو في كل ذلك حين تخليه عن إشباع شهوته امرأة !... **فهذا النبي التقي الورع عليه السلام يسخر منه الخطيبي ويهزأ به، فكيف يستحي من السخرية والاستهزاء بفقيه الكتّاب وتلامذة الكتاتيب ؟**

• **ثانيا** : اذا كان الأستاذ عبد الكبير الخطيبي قد عرف ذلك النوع من الكتاتيب، فما ذنب باقي الكتاتيب التي يحاول المشرفون عليها تأدية واجباتهم على أحسن وجه وأكمله والتي تجني عليها تزكية مقررات رسمية ـ ينظر اليها التلميذ على أساس أنها ناتجة عن دراسات هامة وأبحاث علمية موثوقة ـ لهذا الوصف الممزوج بالاستهزاء بالفقهاء والسخرية من دور الكتاتيب ؟ واذا كان من سوء حظ الخطيبي أن يمر بكتّاب فقيهه سادي يتلذذ بإحداث الأذى للغير، فما ذنب فقهاء الكتاتيب النزيهة الموزعة في شتى أنحاء المغرب ؟ واذا كان فقيه الخطيبي شرها في أكله ألم يكن من الأليق ألّا نذكره، ونعتبر ذلك كما هو الأمر فعلا حالة شاذة لا يمكن تعميمها على مجموع الكتاتيب ؟ كيف نقبل من الخطيبي هذا الوصف وهو يشهد بنفسه أنه لم يكن يفهم شيئا وقتئذ، ولا يعرف قراءة ولا خطا، ويكثر من الفرار كلما سنحت له الفرصة، وهي أوصاف من لا يعتد بقوله ولا يستشهد بروايته ؟

• **ثالثا** : نستغرب لتزكية المقرر لما ورد في الدرس من مغالطات، مع أن العرض الامين للنصوص،والنقل السليم لمختلف الاقتباسات،علاوة على ما تستلزمه تربية النشء وإعداد رجال الغد لضمان مستقبل الأمة من احتياط ومراقبة للأفكار الواهية والآراء الضالة يقتضي، في أضعف حالات الإيمان، أرفاق الدرس بهوامش تظهر الرأي الصحيح والفكر السليم كلما جانب النص الحق أو أبدى وجهة نظر خاطئة. فهنالك مغالطات يمكن حصر أهمها في ما يلي :

- **الخط يوصل رأسا الى الجنة !...** : أن يكون فقيه كتّاب الخطيبي جاهلا بالفقه والسنة إلى هذه الدرجة من البلاذة، فذلك أمر يهمه، ولسوء حظ الخطيبي ! أما أن ينص على ذلك في مقرر رسمي دون أدنى تعليق لا بالنص ولا بالهامش، فان ذلك يعتبر خيانة في حق الفقه والدين، وتنكر لأبسط مبادىء التربية والتعليم.

- **الفقيه قريب من الله بلحيته وسلطته !...** : ونسأل القائمين على أنجاز المقررات ومن شاركهم في اقتباس أمثال هذه الدروس، متى كانت اللحية تقرب من الله ؟ ومتى كانت السلطة عاملا من عوامل التقوى والإيمان ؟ لقد كان الأولى بمقرر السنة السادسة من الثانوي بعد أن لطخ صفحاته باقتباس هذا النوع من النصوص أن يشير بالهامش إلى هذه المغالطة ويذكر بأن القربى من الله لا تنال إلا بالتقوى.

- **قراءة القرآن صياح فيما لا طائل تحته !...** : ذلك رأي الخطيبي وهو حر فيه، لكن أن تلقن لأطفالنا وفلذات كبدنا مثل هذه الأباطيل، المتناقضة مع ما تدرسه مادة التربية الإسلامية وتدين به الأمة، فهو هدم طرف لما يبنيه الطرف الآخر، أو بصفة أدق، تغيير إسمنت البناء بمسحوق الديناميت !

• **رابعا** : إن المجلات التي تنشر للكاتب وأمثاله لا تنسى في أن تذكر في أولى صفحاتها أن ما يرد في المجلة يعبر عن أفكار كتابها، ويا ليت المقررات حذت حذو هذه المجلات وأشارت في بداية صفحاتها أو اقتباسها أنها لا تتحمل مسؤولية ما ورد في النصوص من آراء وأفكار وإنما هي آراء وأفكار الكتاب المقتبس عنهم، إذن لهان الأمر، ولفهمنا كما سيفهم التلميذ أن المسؤولين عن انجاز المقررات لا يشاطرونهم الرأي، وذلك أضعف الإيمان. أما أن تقتبس منهم ولا تحسن الإقتباس، وتسكت بعد ذلك عن كل ما يرد في النص من طعن في الدين وسخرية بأهله ومعتنقيه، فذلك تعبير عن ضياع الأمانة التي حملتها المقررات.

• **خامساً وأخيراً** : لقد صور الكتّاب كسجن تعذيب فيه من المشاهد الرهيبة ما يقشعر له الجلد ويجعل السجين يحلم بالفرار، وفيه من الصداع ما يحدث الألم، وضياع للوقت يزيد المتردد عليه جهلًا على جهل. هذا هو كتّاب الخطيبي، ونظرا لعدم ذكر الكتّاب مرة ثانية وبصفة نزيهة وأمينة في أي درس من دروس المقرر، لا مقررات السنوات الماضية ولا السنوات التالية بالثانوي، فان كتّاب الخطيبي هو كتّاب المقررات. ولنفرض أن الوصف ينطبق فعلا على كتّاب من الكتاتيب، فما هي الغاية من التعميم الذي اعتمده المقرر ؟ وما الهدف من توحيد وصف الكتاتيب القرآنية بهذه الصورة وغياب الوصف السليم من جميع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النصوص ؟ ألم تجد المقررات من الكتاب المغاربة إلا الخطيبي ؟ ألم تجد عند الخطيبي نفسه إلا هذا الوصف الشنيع للكتاتيب القرآنية ؟ بل لنفرض جدلا أن الكتاتيب تعرف هذا النوع من التربية المفزعة، والتعليم العقيم، هل ذلك يعني أنها تنفرد به دون باقي مؤسسات التربية والتعليم التي لم يشر إلى مشاكل البعض منها وسلبياتها ؟ ليس لنا وقت نضيعه مع الخطيبي وأمثاله، **فعندما يخفت نور الإسلام، يظهر ظلام الأباطيل والشبهات. سنة الله في الحياة، الظلام ليس وصفا بذاته، وإنما غياب النور هو الظلام، وبغياب نور الإسلام، ينتشر ظلام الطواغيت في الأفكار والقلوب.** واذا استمرت فقرات الضلال بالمقررات، فإن مقارنة الخطيبي ببعض رجال الغد، هذا إذا كانوا رجالا فعلا، ستكون كمقارنة الزاهد العابد بالمعربد الملحد !

وتكفينا هذه الوقفة مع المقررات للتعرف على جهلها للدين الإسلامي شريعة وثقافة، وللبرهنة على انسلال الدعوة لنبذه وعدم الخوض في دراسته في بعض نصوصها، ويبقى رجاؤنا إزالة هذه السموم من دروس اللغة الفرنسية وتعويضها بدروس تتخذ من الاسلام منهجا ومن الثقافة الاسلامية مصدرا، وأملنا كبير في أن يحقق المسؤولون هذا الرجاء.

إننا لا نريد من مادة اللغة الفرنسية أن تنقلب درسا دينيا صرفا،أو بديلا لنصوص التربية الاسلامية، كما لا نريدها مسخا للمجتمع وجهلا بالدين.

ب ـ أحجية ساخرة من أعظم ركن في الإسلام :

انتبهت مقررات اللغة الفرنسية الى تجاهلها للدين الإسلامي الذي يدين به المجتمع الذي فيه تُدرَّس، وأدركت أنها لم تشر الى شعائره وثقافته وحضارته إلا إشارات مغلوطة ومشوبة بنظرات استشراقية واهية خاطئة، وأحسست أنها لم توف المسلمين حقهم من الذكر، فارتأت أن تستدرك هذا النقص وتذكر الصلاة والمؤذن والإمام، وتمحو بذلك الغياب التام بمختلف نصوصها لشرائع الإسلام بوصف أعظم شريعة من شرائعه وأكبر ركن من أركانه : الصلاة. وحتى تضفي على هذا الذكر نوعا من الفكاهة والتسلية، اختارت عرضه على شكل نكتة ضاحكة في عالم حيواني شبيه بعالم « كليلة ودمنة »، ليطيب خاطر الأساتذة والتلاميذ بذلك الذكر من جهة بعد أن عطشوا روحيا في صحراء المقررات القاحلة، وينشرحوا من جهة أخرى بابتسامات وضحكات عابرة. ونشير الى أن المقررات قد اجتهدت في وصف الصلاة، فلم تنس أنه يؤذن لها، ويتوضأ قبل قيامها، ويتقدم إمامٌ المصلين لأدائها. وهذا وصف صلاة المقررات(41) :

ÉLOCUTION

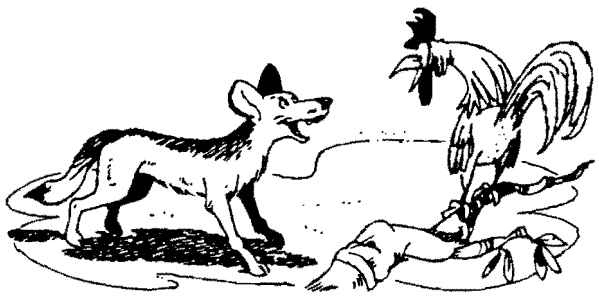

La prière du Chacal

Un matin, le Chacal voit le Coq qui chante sur une branche. Il s'approche de l'arbre...

Le Chacal : - Que tu chantes bien ! Quand je t'ai entendu, j'ai eu envie de devenir bon et de prier Dieu. Je suis venu tout de suite. Descends ! Viens faire la prière avec moi.

Le Coq : - Oncle Chacal, ne vois-tu pas que j'appelle les gens à la prière ?

Le Chacal : - Si, je le vois, mais maintenant que tu as fini de les appeler, descends faire la prière avec moi !

Le Coq : - D'accord. Mais j'attends l'imam.

Le Chacal : - Qui est votre imam, ici ?

Le Coq : - Tu ne le connais pas ? C'est le Chien de chasse.

Le Chacal : - Au revoir ! au revoir ! J'ai oublié de me laver avant la prière. J'y cours.

D'après Jean-Paul TAUVEL,
Contes et histoires du Maghreb.

صلاة إبن آوى

ذات صباح، رأى إبن آوى الديك وهو يغني فوق غصن شجرة، فاقترب منها...

- إبن آوى : ما أعذب غناءك ! عندما سمعتك، أحسست برغبة لأكون صالحا وأعبد الله. وجئت مسرعا. إنزل ! تعال لتقيم الصلاة معي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- الديك : عمي إبن اوى، ألا تراني أدعو الناس للصلاة ؟
- إبن آوى : طبعا، إني أرى ذلك، لكن الآن وقد انتهيت من دعوتهم، إنزل لتقيم الصلاة معي !
- الديك : سمعا. لكني انتظر الإمام.
- إبن آوى : ومن يكون إمامكم هناك ؟
- الديك :ألست تعرفه ؟ إنه كلب الصيد.
- إبن آوى : إلى اللقاء ! الى اللقاء ! إني نسيت أن أتوضأ قبل الصلاة. سأسرع لذلك ».

عن جون بول توفيل
أحجيات وحكايات المغرب العربي

وتمعن أخي المواطن في هذا الوصف وأعد قراءته. ولا تغضب، فإن الأمر بالمقررات مجرد حكاية وأحجية، واكظم الغيظ، وسلم بأنها أحجية وأسطورة، وانتبه لما جاء في مفرداتها ومعانيها... فستجد أن الأحجية خرجت من عالمها الحيواني وغادرته لتدخل العالم الإنساني البشري، ولتظهر عن باطنها وما تطويه معانيها، ولتدلنا على أنها لا تعدو أن تكون استهزاء بالإسلام وسخرية من صلاة المسلمين ! فالديك عندما ينادي، أو يغني كما يقول الدرس، لا ينادي على الحيوانات والديكة لإقامة الصلاة، وإنما ينادي ويدعو... « الناس » ! بهذه الحكاية المسمومة تكون المقررات قد أدت واجبها في ذكر الصلاة، لتنساها بعد ذلك، ولياليَها لم تذكرها بالمرة. فصلاة المسلمين، حسب تصور صاحب الاحجية، خصائصها كالآتي :

- الآذان :غناء !
- الإمام : كلب !
- المصلي :محتال، يتودد الصلاة لقضاء مآربه !

وتبا له من وصف، وبعدا لها من سخرية بالإسلام وبشرائع الإسلام، تصدر من أفواه المستعمرين، وتقتبسها مقررات اللغة الأجنبية لتدرس لأجيال ما بعد الاستعمار، في غفلة عن ما تحمله من سخرية لعقيدة الإسلام، وما تنطوي عليه من نظرة حاقدة لشعائره ومعتنقيه.

ولان التلميذ تجذبه الاحجيات في ذلك العمر وتستهويه النكات علاوة على أنها تبقى راسخة في ذهنه، كان مثل هذا الدرس خطيرا على عقيدته وعلى تقديسه لشريعة دينه.

وبدل أن يساهم درس اللغة الفرنسية في تكوين الفرد المسلم ويشاطر درس التربية الإسلامية مهام بناء المجتمع الفاضل، نراه يناقضه ويعاكسه، فذلك يدعو إلى احترام شرائع الدين والقيام بها والذود عنها، وهذا لا يرى بأساً في الضحك منها والسخرية من أصحابها وحياكة النكات والأحجيات حولها. وصدق من قال :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

ونختم ملاحظاتنا حول الدرس بالإشارة إلى أننا لسنا ضد النكات أو الأحجيات، فاننا لا نرى بأسا في ذكرها ببعض الدروس، لكن بعيدا عن الدين ومقدسات الوطن.

ج - دعوة للسفور والتبرج :

يطلع علينا كتاب اللغة الفرنسية للسنة السابعة من التعليم الثانوي - شعبة الآداب - بدرس معنون « تقريظ الماكياج »[42]، مقتبس عن الكاتب الفرنسي الشهير شارل بودلير (1821 - 1867)، فيه دعوة واضحة للسفور والتبرج والتزين قصد الفتنة ولفت الأنظار. والدرس مصحوب بصورة ملونة لراقصة من الهند الصينية في أبهى حللها وزينتها. ولقد وردت بالنص إشارات إلى أن التزين لجلب القلوب والتجمل للفتنة ولفت الأنظار يعتبر واجبا من واجبات المرأة، وأنها حين قيامها بذلك، لا تقوم إلا بأداء مهمة عظمى لا يحسن أداءها غيرها. وفي ما يلي ترجمة الفقرة الأولى من الدرس متبوعة بملاحظاتنا حول ما جاء فيها :

تقريظ للماكياج

« إن المرأة في حقها التام، بل إنها تقوم بنوع من الواجب حين حرصها على أن تظهر ساحرة وما فوق طبيعية : لابد لها أن تُذهل، أن تَفتن؛ معشوقة، عليها أن تُذهِّبُ لتُحبَّبُ. عليها أن تقتبس من جميع الفنون الوسائل التي سترفعها فوق الطبيعة كي تحسن أخضاع القلوب وضرب النفوس. لا يهم أن تكون الحيلة والوسيلة معروفتين لدى الجميع، إذا كان النجاح مؤكدا والفعل دوما ثابتا... ».

شارل بودلير
(فن الرسم للحياة المعاصرة)

ÉLOGE DU MAQUILLAGE

La femme est bien dans son droit, et même elle accomplit une espèce de devoir en s'appliquant à paraître magique et surnaturelle ; il faut qu'elle étonne, qu'elle charme ; idole, elle doit se dorer pour être adorée. Elle doit donc emprunter à tous les arts les moyens de s'élever au-dessus de la nature pour mieux subjuguer(1) les cœurs et frapper les esprits. Il importe peu que la ruse et l'artifice soit connus de tous, si le succès en est certain et l'effet toujours irrésistible. C'est dans ces considérations(2) que l'artiste philosophe trouvera facilement la légitimation de toutes les pratiques employées dans tous les temps par les femmes pour consolider et diviniser, pour ainsi dire, leur fragile beauté. L'énumération en serait innombrable ; mais pour nous restreindre à ce que notre temps appelle vulgairement **maquillage**, qui ne voit que l'usage de la poudre de riz, si niaisement anathématisé par les philosophes candides(3), a pour but et pour résultat de faire disparaître du teint toutes les taches que la nature y a outrageusement(4) semées, et de créer une unité abstraite dans le grain et la couleur de la peau, laquelle unité, comme celle produite par le maillot(5), rapproche immédiatement l'être humain de la statue, c'est-à-dire d'un

Charles BAUDELAIRE
(1867-1821)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولأنه لم ينص في هذا الدرس على أن التزين مستحب من الزوجة لزوجها دون غيره، ولورود عبارتي « إخضاع القلوب » و « ضرب النفوس » على صفة العموم، ولصدور هذا النص عن كتاب غربي لا يرى بأسا في أن تظهر المرأة زينتها للجميع، كان هذا النص محاربة صريحة للحجاب الذي شرعه الله تعالى ونص عليه كتابه الكريم وسنة رسوله المصطفى الأمين عليه الصلاة والسلام. ولم تكن فتيات المغرب ونساؤه يختلفن في الالتزام به قبل الستينات من هذا القرن، ولقد ذكرنا في فقرة سابقة(43)، الآيات القرآنية التي تنص على وجوب ارتداء المرأة المسلمة للباس يسترها ويحجب زينتها عن غير المحرم. لقد ركز أعداء الإسلام من الغرب وتلامذتهم من العالم العربي والإسلامي على تجريد المرأة المعاصرة من ثيابها إلا من رحم ربك بدعوى التحرر والانعتاق من ظلمات العهود الغابرة، مع أن التحرر تحرير العقل من الجهل والخرافات والأساطير والإقبال على العلم والتعلم، والانعتاق انعتاق من التبعية الاقتصادية والثقافية للمعسكرين الغربي والشرقي، لا الانسلاخ من ثياب تستر الجسم وتمنع الفتنة وتجعل بين المرأة وغير محارمها سدا منيعا من الحشمة والوقار. ولقد نجحت مختلف دعوات السفور والتبرج في بث سمومها بين بناتنا ونسائنا حتى اقتصر الحجاب على بعض العجائز وكبار النساء، وصار ستر الفتاة لزينتها وتمسكها بحجابها يعد نوعا من التصرف الغريب الشاذ المتطرف في نظر بعض أفراد المجتمع !

ونستغرب لمقررات التربية التي كان من المفروض، عملا بما ينص عليه الدين الإسلامي، أن تنبه الى الانزلاق الذي نعاني منه باتباعنا الغرب في تصرفاته الاجتماعية المنحلة، وما نتج عنه من انحلال خلقي وانحراف أخلاقي، لا أن تشجع فتيات المدارس على إبراز زينتهن وتدعوهن للتزين والتجمل قصد الفتنة والاغواء. ونسأل هذه المقررات : من الأولى بالاتباع ؟ ما يشير اليه شارل بودلير من مسخ وفجور مهما بلغ من الشهرة وأدرك من رقي في الميدان الفني والأدبي أو ما يأمر به الواحد الديان، العالم بخير الانسان ، والمحاسب له شراً بمثله وإحسانا بإحسان ؟ ومتى أضحى الشيء المنهى عنه واجبا من الواجبات ومهمة من أقدس المهمات ؟ متى أصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا ؟ هل ينحصر دور المرأة في المجتمع في اخضاع القلوب وضرب النفوس ؟ هل خلقن دون مستواهن الطبيعي ليبحثن عن وسائل التعالي والارتفاع فوق الطبيعة ؟

إن فتيات السابعة من التعليم الثانوي اللواتي سيقبلن على الدراسة بالجامعة بعد سنة، ومنهن من ستصبح ربة بيت بعد شهور، يدعوهن خاتم مقررات اللغة الفرنسية بالثانوي إلى اعتبار اظهارهن لزينتهن أمرا واجبا وضروريا، وأن عليهن لتأدية هذا الواجب على أكمل وجه وأحسن صورة، اقتباس جميع الفنون واستعمال جل الوسائل للتجمل كي تخضع قلوب الناظرين وتنصاع نفوسهم. فعلى الفتاة، أم رجال الغد، أن تذهل، وتثير الانتباه، استاذها، رفاقها في المدرسة، إبن عمها، إبن جارتها، رجل الشارع... لا يهم، المهم أن تذهل... والأهم، أن تفتن !

فكيف نريد من فتياتنا اللواتي وضعن حجابهن وأظهرن زينتهن ومفاتنهن، عن جهل بالدين في أغلبهن، أن يلتزمن بالحجاب طاعة لربهن ولسنة نبيهم والدرس يصرح أن المرأة في كامل حقها حين تتبرج وأنها تقوم بالواجب الملقي على عاتقها حين التزين والتجمل للناس ؟ كيف نرجو منهن أن يبذلن الجهد ويجتهدن في تحصيل دروسهن للتحرر فعلا من قيود الجهل والتخلف والدرس يصرف اهتمامهن للاذهال والفتنة والانشغال بإخضاع القلوب واغواء النفوس ؟ إننا نعلم أنه لن ينتج عن مثل هذه الأفكار إلا مزيد من الفساد وانتشار للزنى والفسق في البلاد.

إنه لا يسعنا في آخر هذه الفقرة إلا أن نذكر القائمين على إعداد المقررات بما نص عليه رب العالمين سبحانه في آخر آيات الحجاب : « وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ. وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »(44).

د ـ التركيز على أساطير اليونان :

كم ضاقت أنفسنا ونحن نقلب صفحات مقررات الثانوي ونبحث في فقراتها، القاحلة من كل ذكر يليق بعظمة الدين الإسلامي وثقافته وحضارته، وكم خاب ظننا ونحن نعيد القراءة كلما سنحت الفرصة لعديد من نصوصها نلتمس العذر لها بالعثور على إشارة حسنة في حق الإسلام والمسلمين، ووصفا جديرا بالمغاربة مجتمعا وأفرادا، لعله ينشرح صدرنا ويطيب خاطرنا بذلك الكشف السعيد، ونعوض وقفات المندهش المستغرب التي وقفناها بتقريظ المسرور الشكور المادح لما استحسنه منها... ولكن في حدود التحري البشري، ورغم معاودتنا للقراءة مرات متعددة، لم نجد ما نمدح به هذه المقررات.

وقلنا ربما في مقررات السلك الثاني، شعبة العلوم، ما يدعو للانشراح، لعل شعبة الآداب تكون قد انفردت بتلك السموم، ولم تنل العدوى شعبة العلوم. لكن خلال تصفحنا لمقررات هذه الشعبة، لاحظنا امتيازها على غيرها بتركيز بعض نصوصها على أساطير اليونان ومعتقدات الامم الغابرة، مع الاستمرار كمثيلاتها في التنكر للدين الاسلامي والثقافة الإسلامية.(45).

وسنكتفي بذكر درس واحد من هذه الدروس التي خصصت لعرض أساطير اليونان وآراء فلاسفتهم داعين من أراد البسط في الموضوع الرجوع إلى مقررات التعليم الثانوي، السلك الثاني : شعبة العلوم(46). ولا يفهمن أحد أننا ضد تدريس حضارات الأمم السابقة من يونانية وفرعونية وهندية وأزتيكية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغيرها، ولكن، إنما نريد أن نظهر ونبرهن على أن سلم الأولويات المطلوب مفقود عند الجماعة التي انجزت المقررات.

جاء في كتاب السنة الخامسة من التعليم الثانوي شعبة العلوم درس عبارة عن عرض لرأي الفيلسوف اليوناني أفلاطون في أصل وسلطة الحب(47)، وفي ما يلي ترجمة الدرس كما ورد في المقرر :

أسطورة الخُنثى

« (أفلاطون، فيلسوف اغريقي قديم - القرن الخامس - الرابع قبل المسيح - يعرض عن طيب خاطر آراءه على شكل مزخرف ومازح أحيانا. وهكذا، يشرح في رواية عجيبة، أصل وسلطة الحب).

قديما، كانت الخلائق البشرية خُنثى، يعني أنها في نفس الوقت ذكر وأنثى. كانت من قِطعة واحدة، دائرية كلها، مع جوانب دائرية، كانت لها أربعة أيدي وأربعة أرجل : وبذلك، عندما تريد أن تركض، كانت تسير بسرعة على شكل عجلة. أما رؤوسها فكانت تحمل وجهين متماثلين تماما، وبقية (الجسم) في مثل ذلك.

لقد كانت خلائق ذات قوة خارقة : كبريائها كان من العظمة حتى أنها كانت تتجرأ على الهجوم على الالهة. لكن زوس(48)، والالهة الأخرى كانوا جد مرتبكين، كانوا لا يريدون لا إفناء جنسها (لأن الناس كانت تقدم القرابين والذبائح للآلهة)، ولا تَحمُّل عجرفتها. لذلك قرر قسمها نصفين لإضعافها، واذا ما استمرت دوما في كونها لا تُحتمل ولا توقر الالهة، أقسم ليقسمنها نصفين مرة ثانية، حتى لتمشي على رجل واحدة حجلا.

فشطر إذن نصفين الخلائق الخنثى، وتكفل أبولون(49)، بإرجاع الجلد على ما نسميه الآن بالبطن، مع تشديد الجوانب حول فتحة وحيدة، وهو ما نسميه اليوم بالسرة.

حينا، كل نصف، رجلا أو امرأة، حاول ميؤوسا الالتحاق بالنصف الآخر. منذ وقتها، يرغب الرجال دوما في العثور على النصف الآخر وتكوين الزوجين الذين سيعيدان انتاج المخلوق الوحيد المشطور من طرف الالهة. واذا وضعت الصدفة في طريق مخلوق طرفه الآخر، فسيغمران بحنان مدهش لبعضهما البعض، سيمتنعان عن افتراق أحدهما عن الآخر ولو لمدة وجيزة.

إن ذلك يشرح الشعور بالحب، إنها الطبيعة الأولى للخلائق البشرية، وكونهم كانوا قطعة واحدة «.

عن افلاطون (428 - 348 قبل المسيح)
الوليمـة

لن نكثر الكلام حول ما جاء في الدرس، فقد سبق تقديمه من طرف المقررات نفسها على أنه عبارة عن أسطورة من

LE MYTHE DE L'ANDROGYNE

(Platon, philosophe grec ancien — Vème-IVème siècle avant J.C.— exposait volontiers des idées sous une forme imagée et parfois plaisante. C'est ainsi qu'il explique, dans un récit fantastique, l'origine et le pouvoir de l'amour.)

Jadis, les êtres humains étaient androgynes, c'est-à-dire qu'ils tenaient à la fois du mâle et de la femelle. Ils étaient d'une seule pièce, tout ronds, avec des flancs circulaires : ils avaient quatre bras, quatre jambes : aussi, quand ils avaient envie de courir, pouvaient-ils avancer très vite en faisant la roue. Leur tête portait deux visages absolument pareils ; et le reste à l'avenant (1).

C'étaient des êtres d'une vigueur prodigieuse: et leur orgueil était si grand qu'ils osèrent même s'en prendre aux dieux.

Or, Zeus (2) et les autres divinités étaient bien embarrassés : ils ne voulaient ni anéantir leur espèce (car les hommes faisaient aux dieux des offrandes et des sacrifices), ni tolérer leur arrogance (3). Aussi décida-t-il de les couper en deux pour les affaiblir : et s'ils étaient toujours insupportables et ne laissaient pas la paix aux dieux, promit-il, il les couperait encore en deux, de façon qu'ils avancent sur une jambe unique , à cloche-pied.

Il fendit donc en deux les androgynes, et Apollon (4) se chargea de ramener la peau sur ce qui s'appelle à présent le ventre, en serrant les bords autour d'une ouverture unique, ce qu'on appelle maintenant le nombril.

Aussitôt, chaque moitié, homme ou femme, chercha désespérément à rejoindre sa moitié. Depuis lors, les êtres humains désirent toujours trouver cette moitié et former avec elle un couple qui reproduira l'être unique dédoublé par les dieux. Si le hasard met sur la route d'un être sa fraction complémentaire, ils sont tous deux frappés d'une affection surprenante, ils refusent de se détacher l'un de l'autre, même pour peu de temps.

Ce qui explique donc le sentiment d'amour, c'est la nature première des êtres humains, et le fait qu'ils étaient d'une pièce.

d'après PLATON (428-348 av J.C.)
Le Banquet

الأساطير. ولكن نكتفي بطرح أسئلة تعبر عن اندهاشنا، لا لما جاء فيه، ولكن لورو ده كدرس من دروس المقرر رغم عدم الحاجة اليه. لماذا هذا الاهتمام باراء خرافية، أو لنقل مجازا فلسفية، أكل عليها الدهر وشرب ؟ لماذا نهتم برأي أفلاطون وتصوره لأصل الحب ولا نهتم بالقرآن الكريم البعيد كل البعد عن الأساطير وما أحدثه في نفوس المؤمنين من حب ومودة ؟ لماذا تبجل المقررات أساطير اليونان ولا تخصص ولو جملا لذكر ما نص عليه الرسول عليه الصلاة والسلام من دعوة لمكارم الأخلاق، وحسن المعاملة، والرحمة بالانسان، والرفق بالنبات والحيوان ؟

لسنا ضد تدريس ما كان يعتقده اليونان. فالإسلام دين له من الثبات والقوة ما لا يفزعه من أمثال تلك الأساطير أو

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يقيم لها وزنا، ولكن نعجب لغياب وانعدام سلم الأولويات المطلوب عند صانعي المقررات ! فكيف يهتم المقرر بعقيدة شعوب غابرة مضى على زوالها ما يزيد على 2000 سنة، ويتجاهل عقيدة التلميذ التي يعتنقها ويومن بها وهو يحياها ويعيشها، علما بأنه لا مقارنة بين لاثنين ؟ كيف تسمح المقررات لنفسها بتخصيص دروس للأساطير والخرافات، ولا تخصص ولو ربع الصفحة للإسلام شريعة وثقافة ومنهاجا ؟ هذا ما نعيب على المقررات في هذا الباب، ولو أحسن ذكر الإسلام، ما التفتنا لما قيل عن خزعبلات اليونان !...

هـ - تنكر لقضية العرب والمسلمين الأولى : فلسطين

إن تعجب معي عزيزي القارىء من مقررات مادة اللغة لفرنسية فعجب تنكرها لكبرى قضايا المسلمين المعاصرة : فلسطين، ذلك الجزء من العالم الإسلامي الذي اغتصبه أعداء الله والإسلام في غياب حقيقة الدين عن قلوب المسلمين ! ونذكّر، والذكرى تنفع المومنين، أنها ليست قضية « الشرق الأوسط » كما تحاول صحافة وأبواق الغرب ترسيخه في العقول ومن ورائها تابعاتها من صحافة العالم العربي والإسلامي، وليست قضية لاجئين يبحثون عن وطن، ولا مشكلة حدود أو مستعمرات، ولا مشكلة أمن، إنها أكبر من ذلك كله... إنها قضية صراع بين الحق والباطل، بين الإسلام وأعداء الإسلام، وعلى هذا كانت قضية فلسطين، قضية كل مسلم[50]، وكان لزاما على مقررات اللغة الفرنسية أن تذكرها ذكرا يليق بعظمتها وإنعكاساتها على مستقبل الأمة العربية والإسلامية، فكيف بعدم ذكرها بتاتا ولو إسما ؟...

ولا يختلف مسلمان في أن فلسطين السليبة قضية العرب والمسلمين، لكونها جزء من أرض العروبة والإسلام، ولاحتوائها القدس الشريف، أولى القبلتين، وثالث الحرمين. **فهي قضية إسلامية، « وستبقى إسلامية تعني الأمة، كل الأمة، بتاريخها وأجيالها وحضارتها، فهي فلسطينية وعربية واسلامية، وحلها لابد أن يتم عبر رؤية دينية ترتكز على العقيدة بشكل صحيح وتستفيد من الدرس التاريخي بعد أن انتهت كثير من التجارب إلى صورة اليأس الحالي »**[51].

إن برامج التعليم بالكيان الصهيوني تولي اهتماما بالغا وأولوية كبرى لتعاليم التلمود، المصدر الرئيسي للأفكار الصهيونية، وتعمل جادة بكل ما في وسعها لتنقش في ذهن الشاب والصبي والطفل، وكدت أن أقول الرضيع، أن الصهاينة أصحاب الأرض تاريخا وحاضرا ومستقبلا، وأن على أبنائها الاستعداد لبناء إسرائيل الكبرى وتشييد دولة الصهاينة العظمى، وذلك بتهويد المدن الإسلامية العريقة ومحو آثار الإسلام منها من القدس الى الخليل، وضم الأراضي العربية لقيام دولة التلمود من الفرات الى النيل. ولمركز الأبحاث والدراسات الفلسطينية أبحاث هامة ودراسات موثوقة في هذا الباب وغيره من الأبواب المتعلقة بتسليط الأضواء على الأطماع الاسرائيلية والارهاب الصهيوني تعد بالمئات نستغرب تجاهلها من طرف المشرفين على انجاز المقررات مع أن أغلبها صدر بعديد من اللغات بما فيها اللغة الفرنسية.

ونعلم أن مقررات مادة التاريخ ومادة التربية الوطنية قامتا ببعض الإشارات لهذه القضية المصيرية بالنسبة للأمة الإسلامية، ولكن كما سبق أن نبهنا إلى ذلك، **فإنه لمن الدلالة على صلاحية البرامج التعليمية بدولة ما وفعاليتها، تكيفها مع الايديولوجية التي تنهجها تلك الدولة، عن طريق تغلغلها إلى درجة التشبع في كل المواد التي تدرَّس كالجغرافية والتاريخ واللغة والأدب وغيرها من المواد اللازمة لتكوين الفرد الصالح المنتج.**

ولا عذر للمقررات في عدم ذكر هذه القضية، كما أنه لا عذرلها في تجاهل الدين الإسلامي وقضاياه المعاصرة، فلو أن المقررات حررت وأنجزت قبل بداية هذا القرن،أو قبل زرع الخنجر الصهيوني سنة 1948 في جسد الأمة الإسلامية التي تكالب عليها الاستعمار وقتئذ ووزعها دويلات وأمما، لما صدر منا لوم ولما وجه لها عتاب. أما وإنها حررت في أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، أي بعد الحروب العربية - الإسرائيلية بأجمعها، وفي وقت يقوم فيه المغرب بدور قيادي لتحريك ملف القضية بمختلف الهيئات الدولية لإيجاد مخرج لمشاكلها، فإن تنكرها لفلسطين شبيه بتنكرها للدين، بل نتيجة حتمية لتنكرها للإسلام، وبعد انسلاخا من هموم ومشاكل المجتمع، وضياعا لما أسند لها من أمانة !

و - ذكر لا يليق بالأفارقة :

ورد في مقرر السنة الرابعة من الثانوي[52]، درس مقتبس عن المقررات الفرنسية للسنوات المتوسطة، فيه نظرة للعالم الافريقي بعين الاحتقار والسخرية تذكرنا بتعالي وتكبر المستعمر قبل الاستقلال، وفي ما يلي ترجمة بعض فقرات الدرس :

الباقون من عهد ما قبل التاريخ

(تحت صورة تمثل جماعة من الأفارقة يلقبون « بالدونيين » في زيهم القديم جاءت العبارات التالية :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« مبعوثان خاصان من مجلة « باري ماتش » كانا أول من دخل من البيض ضفاف « البابوس » البعيدة بغينيا الجديدة... هناك، يعيش القوم كما كان يعيش الانسان منذ 40.000 أو 50.000 سنة »).

« لقد جئنا الى قلب غينيا الجديدة، لنرى آخر ناس العهد الحجري، والآن نحس بهم يجولون بين القصب الضخم الذي تسير بينه مجموعتنا. هذا الحضور اللامرئي أثبتنا في أمكنتنا وشد على حناجرنا. أطلقنا آذاننا ونحن نتفحص النباتات المجاورة، لم تكن لدينا أسلحة وكانت حياتنا عرضة لسهم من قضيب الخيزران.

- مانبو ! مانبو ! صاح الرجل.

تلك هي كلمة المرور في هذه المناطق المجهولة أكثر في العالم. إنها تعني : صديق.

وإذا بإحد « الدونيين » يشخص على بعد قدمين منا، ثم اثنان، ثم خمسة، كانت أنظارنا تلتقي. وفجأة، ألقوا بنبالهم وأقواسهم أرضا، ومدوا أيديهم فارغة متجهين نحونا.

أوجههم كانت مخططة بألوان ناصعة وأجسادهم مذهونة بالشحم والطين... كان يظهر (على أوجههم) أنهم مغمورون بإحساس شديد مثلنا. كانوا فرحين حين أدركوا إننا لا نضمر لهم أية نية عدوانية.

عندما انتهت بعثتنا (من مهامها)، جاءت طائرة لتقلنا. منتفشين بريش ملون، مزينين كالمهرجين، القوس فوق الأكتاف والفأس في الحزام، كل « الدونيين » بالمناطق المجاورة جاءوا مصطفين حول الآلة السحرية التي ستحمل البيض في اتجاه الشمس من حيث أتوا... ».

قراءات الأقسام المتوسطة - أرمون كولان

إن مجلة « باري ماتش » ما تزال لليوم تنظر للأفارقة أنهم بشر من الدرجة الثانية، وأن تنقل المقررات بفرنسا منها الدرس المذكور فهو أمر لا يثير الاستغراب بالنسبة لنا، فالدرس شبيه بدرس « الماعز القاضي »، والعيب فيه النظرة الاستعمارية للعالم الافريقي.

- الباقون من عهد ما قبل التاريخ،...
- قوم يعيشون كما كان الانسان يعيش قبل 40.000 أو 50.000 سنة،...
- آخر ناس العصر الحجري،...
- وجوه مخططة وأجسام مذهونة بالطين،...
- مزينين كالمهرج،...
- آلة سحرية تنقل البيض تجاه الشمس من حيث أتوا،...

كلها كلمات تحمل في طياتها معاني توحي بأن القوم المحكي عنهم شبيهون بالحيوان، متخلفون عن أوروبا، صاحبة

Deux envoyés spéciaux du journal **Paris-Match** *sont les premiers Blancs à pénétrer dans les vallées perdues des Papous de la Nouvelle-Guinée... Là des hommes vivent comme d'autres hommes vivaient il y a 40 000 ou 50 000 ans. Des Dunas photographiés au cours de l'expédition.*

Survivants de la préhistoire

Nous sommes venus là, au cœur de la Nouvelle Guinée, pour voir les derniers hommes de l'âge de pierre. Et maintenant nous les sentons rôder parmi les roseaux géants où notre petite troupe avance. Cette présence invisible nous cloue sur place et nous serre la gorge. Nous tendons l'oreille et nous scrutons la végétation environnante. Nous n'avons pas d'armes et notre vie est à la merci d'une flèche de bambou.

- Manbo ! Manbo ! crient nos hommes.

C'est le mot de passe de ces régions les plus ignorées du monde. Il signifie : ami.

Et voici qu'un Duna se dresse à deux pas de nous. Puis deux, puis cinq. Nos regards s'entrecroisent. Soudain, ils jettent leurs flèches et leur arc par terre, tendent leurs mains vides et viennent à nous.

Leur visage est bariolé de couleurs vives et leur corps entièrement recouvert de graisse et de boue.

De petite taille, un mètre cinquante environ, le ventre ballonné, les Dunas sont à peine vêtus. Une ceinture d'écorce gravée de dessins géométriques retient un pagne tressé et, derrière, une touffe de feuillage vert. Ils ont, en bandoulière, une sorte de vaste filet à provisions qu'ils ne quittent jamais. Tous sont armés d'un arc et d'une provision de flèches. A la ceinture est passée une hache de pierre sur laquelle leur main droite reste constamment posée. Malgré leur petite taille, on les sent très robustes.

Ils ont visiblement éprouvé une aussi forte émotion que nous. Ils sont heureux de constater que nous n'avons aucune intention hostile.

Notre expédition terminée, un avion vint nous chercher. Hérissés de leurs plumes multicolores, maquillés comme des clowns, arc sur l'épaule et hache à la ceinture, tous les Dunas des environs étaient venus se ranger autour de la machine magique qui allait ramener les Blancs vers le soleil d'où ils étaient venus.

Avisant l'un d'eux, dont les flèches sculptées étaient plus belles que toutes celles que nous avions vues, nous lui proposâmes, en échange, tout ce que nous avions encore de coquillages, de sel, de haches de fer : pour un Duna, une véritable fortune. Le guerrier hocha tristement la tête. Par gestes, il nous fit comprendre qu'il refusait notre offre. A la fortune, il préférait la vie. Sans arc, sans flèches, c'est-à-dire sans défense, un Duna ne revient jamais vivant dans sa tribu.

Lectures pour classes de transition. A. Colin

البعثة، 400 أو 500 قرن من الزمان ! فعلا، لا ننكر أن بعض القبائل بافريقيا الوسطى كانت تعيش على شكل بدائي، ولكن ذلك لا يمنع من وجود حضارة هي صاحبتها وصانعتها، كما نعلم أن بعض الدول الافريقية التي حاول الاستعمار الاستخفاف بها على نفس النهج، كانت بعض قبائلها تدين بالإسلام ولها بفضله تاريخ وثقافة وحضارة تربطها بالعالم الإسلامي. ثم ما العيب اذا كان ذلك الشكل البدائي يستجيب لمتطلبات تلك القبائل وينسجم مع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محيطها وبيئتها ؟ وما الذنب اذا كانت لا ترى ضرورة في تغييره ما دام يلبي حاجياتها ؟ وما الدليل على أنهم يعيشون كما كان يعيش الانسان منذ 500 قرن ؟ وما أدرانا ما نوع المعيشة الآدمية في ذلك التاريخ ؟ ثم هؤلاء القوم الذين يرون الغريب بديارهم ولا يقضون على حياته أو يسجنونه أو يضربونه، بل يلتفون حوله ويقدمون له أيديهم فارغة بعد أن جردوها من السلاح للدلالة على الامان، هل يعدون آخر أناس العهد الحجري ؟

ثم ما حاجتنا نحن كمسلمين أفارقة من اقتباس مثل هذه الدروس ؟ ألم يجد صانعو المقررات من النصوص إلا ما كتبته مجلة « باري ماتش » منذ عشرات السنين، أي قبل استقلال أغلب الدول الافريقية من زيح الاستعمار ؟ أغاب عنهم أن مثل هذه الجرائد كانت تغذي الفكر الاستعماري وتهيء الضمير العالمي لتزكية ما تقوم به دولها من احتلال أراضي الغير بحجة إدخال الحضارة ومحو آثار ما قبل التاريخ، وهو الدافع الاساسي لتنظيمها وتمويلها لبعثات الاستطلاع البارحة واليوم ؟

ألم تجد المقررات في جرائد الدول الافريقية الصديقة وما تصدره منظمة الدول الافريقية من دراسات عن ماضي وحاضر ومستقبل القارة الافريقية، ومن الكتب والابحاث التي صدرت عن عديد من الجامعات الافريقية والتي تناولت بالدرس مختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للقارة الافريقية ما تزين به صفحاتها ؟ أليس الميز العنصري الذي تعرفه افريقيا الجنوبية أولى بالذكر ؟ أليست عمليات التبشير والتنصير في عديد من الدول الافريقية أحق بالنشر ؟

لقد وقفنا مع مقررات الثانوي بما نظن أن فيه الكفاية، ولولا أن نطيل على القاريء لزدنا الموضوع بسطا، ولكن في ما قدمناه مسح لاهم ما اعتراها من نقص وما احتوته من مغالطات. وإذا كان لا بد من إضافة شيء لما ذكر فكلمات موجزة عن الصور. لقد سبق القول أن الصور أغلبها صور غريبة عن المجتمع المغربي لا تتناسب مع ثقافته و لا تعبر عن مشاعره، وسنكتفي بذكر ثلاث صور :

● **الاولى** : بمقرر السنة الثالثة من الثانوي مقرونة مع درس معنون « مغامرة بالجبل »[53] وهي عبارة عن قرية تحيط بها جبال يكسوها الثلج **وتتوسطها كنيسة بارزة**، والصورة أخذت صفحة بكاملها، ونسأل المسؤولين أين مدينة يفرن وأين جبال الاوكيمدن وهبري ومشلفن ؟ ألم ينعم الله على بلدنا بمناظر جذابة خلابة لجبال تكسوها الثلوج طيلة فصل الشتاء حتى لتنقطع بعلوها الطرق ؟ ألم نجد إلا أوروبا لنقتبس منهاالصور ونحن نملك من جمال الطبيعة ما نملك ؟ ثم ما بال المقررات تختار صورة تتوسطها كنيسة ضخمة يضاهي الصليب المغروس فوقها قمم الجبال التي وراء الصورة ؟... تلك دلالة أخرى على أن المقررات لا تعبر عن أفكار وآراء المجتمع المغربي و لا تقيم لديانته وزنا !...

● **الثانية** : في نفس المقرر، وزينت بها الصفحة الاولى للباب الخاص بالرياضة[54]، تظهر فيها بشكل كبير فتاة عارية الفخدين تماما مع أن الرياضة التي تلعبها، لا علاقة لها بالمواضيع المذكورة في ذلك الباب !...

● **الثالثة** : وردت في مقرر السنة الرابعة من الثانوي وهي عبارة عن صورة لسد بوادي الرون بفرنسا، وقد جاءت مقرونة لدرس يتناول بناء السدود. ولسنا ندري ما هي الدوافع التي حدت بصانعي المقررات أن يقتبسوا هذه الصورة والدرس لا يتحدث عن سد بعينه. ونستغرب كيف نسوا أن المغرب بلد السدود حيث يزيد عددها على العشرات !...

خاتمة :

لم تكن غايتنا يوم انكببنا على دراسة المقررات في أوقات فراغنا التجريح بالمسؤولين على إعداد المقررات، أو النيل ممن ساهم في إنجازها، وإنما كان همنا نابعا من إيماننا بديننا ورغبتنا في أن نرى الاسلام شامخا وعاليا ببلدنا، ومن وطنيتنا وحبنا بأن نرى أبناء شعبنا وشباب غدنا وبناته غيورين على دينهم، مدافعين عن وطنهم محصنين بالثقافة والشريعة الإسلاميتين قبل الإقبال على الدراسة بالكليات والمعاهد الغربية أو الاقتباس من مناهلها الفكرية، حتى نأخذ من حضارة الغرب لبها، ومن ثقافته جوهرها، ومن تكنولوجيته أحسنها وأنفعها للبلاد والعباد، ومن لغته ما يعبر عن مشاعرنا وقضايانا ويمكننا من عرض مشاكلنا بمختلف الهيآت الاجنبية والدولية، ويساعدنا على تكثيف الحوار مع العالم الغربي لصالح صناعتنا وإنعاش اقتصادنا.

ولقد حاولنا أن نركز على الهفوات التي لاحظناها بالمقررات دون أن نهوّن من خطرها على تربية أطفالنا وشبابنا، لان البناء الصلب المنيع، يتطلب اتخاذ جميع التدابير لابعاد أدنى مخاطر التدمير، فلا يكفي لإنجازه التوفر على البنّاء الماهر والمهندس المبدع،... فرب تهاون من ذلك العامل البسيط غير المنتبه إليه حين خلط الرمل والحجارة والإسمنت في إكثاره للماء أو النقص منه أشد خطرا على البناء من هفوات الصانع وغلطات المهندس. وكذلك الامر بالنسبة للغة الفرنسية، لقد كان عليها أن تستنفر جميع مفرداتها لكي لا تدع مدخلا للافكار السامة والضالة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إننا لا نريد من مادة اللغة الفرنسية أن تنقلب درسا دينيا صرفاً أو بديلا لنصوص التربية الإسلامية كما لا نريدها مسخا للمجتمع وجهلا بالدين، حتى يستطيع المبرمج والمربي والاستاذ والفقيه، كل من جهته تكوين الجيل الصالح والفرد النبيل، وبالتالي المجتمع الفاضل الاصيل. ولا يخامرنا شك بأن المسؤولين بوزارة التربية الوطنية سيطلعون على ما كتبناه، و لا شك في أن غيرتهم على دينهم وحبهم لوطنهم سيجعلهم يشاطروننا الرأي فيما قلناه أو بعضه، وأنهم سيقبلون بحول الله على محو الهفوات في الطبعات اللاحقة للمقررات إن شاء الله، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل. □

الهوامـــش

1 « تربية الاولاد في الاسلام » للشيخ عبد الله ناصح علوان، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، الجزء الاول، ص 254.

2 « الوعي اللغوي » الشيخ عبد الله العلايلي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد الأول، ماي 1980، ص 14.

3 ما دمنا حتى اليوم ننهل من الغرب جميع أشكال الحضارة بما لها وما عليها، فلم لا ننهلها من موردها الأكبر والأهم عند الغرب نفسه الا وهو الولايات المتحدة ونعلم أطفالنا الانجليزية بدل الفرنسية حيث تأتي هذه الأخيرة في المرتبة الثانية وتدرس كلغة أجنبية ثانية كما هو الحال بالنسبة للانجليزية الآن، خاصة وأن الطالب المغربي حين يصل الى مستوى السلك الثالث من التعليم العالي تعجز اللغة الفرنسية في أغلب الأحيان عن مده بما يحتاج اليه من معارف ومعلومات لمباشرة البحث في المواد العلمية بالخصوص، وهو أمر يعرفه جل الطلاب الذين مروا من هذا المستوى من التعليم، بل كثير من مؤلفات العلوم بالفرنسية الخاصة بالتعليم العالي إنما هي ترجمات أو اقتباسات عن مراجع أمريكية. ولا يجادل أحد في أن البحث العلمي أخصب في الولايات المتحدة من أوربا وان التعليم بالاولى أشد وأقوم في التخصصات، وأن مراكز الدراسة والبحث ومعاهد التخصص وكبرى الكليات هي أكثر عددا وأمكن تأطيرا بالاولى من الثانية، واذا كان الجيل الماضي قد ركن الى الفرنسية بحكم الاستعمار والاوضاع الاقتصادية التي نتجت عنه فان الجيل الحالي لن يضيره في شيء أن يتعلم الانجليزية كلغة اجنبية أولى بدل الفرنسية، مع العلم أننا نحبذ دراسة اللغات الاجنبية بالثانوي والاكتفاء باللغة العربية وحدها في الابتدائي كما هو الشأن بالدول المتقدمة التي تحرص على أن تكون للغة الام مكانتها الاولى لدى أفراد مجتمعاتها.

4 في حدود التحري البشري، ورغم اعتمادنا الاكثار من المراجعة فاننا لم نعثر على ذكر الكلمات الله، الرسول، الاسلام، القرآن في الكتب الثلاث من سلسلة « بخطوات كبرى (à grand pas) باستثناء دروس ثلاثة كلها من كتاب السنة الخامسة، طبعة دار الرشاد 1983 :
•الأول بعنوان « الأطفال والشبح (Les enfants et le fantôme) » حيث صاح الاطفال حين خوفهم « يا إلهي ! شبح ! (Mon dieu! un fantôme) »، ص 16،
•الثاني بعنوان « الخيالة (La fantasia) حين صيحة أصحاب الخيل فور انطلاقهم « يا الله ! يا رسول ! (Ô Dieu ! Ô Prophète) ص 52،
• الثالث بعنوان « زلزال اكادير (tremblement de terre D'Agadir) » حيث يحكي العم حسين للاطفال عن زلزال اكادير ويقول « لقد حفظ الله حياتي حين زلزال اكادير (Dieu m'a sauvé la vie à la suite du tremblement de terre D'Agadir) »

وفي الدرسين الاولين لم ترد كلمة الله لتعبر عن اسم خالق الكون ومدبره، وانما ذكرت ككلمة استعجاب واندهاش تصدر من الشخص حين اندهاشه أو خوفه وان كانت عبارة الدرس الثاني تجعل من الرسول اله آخر يستنجد به ويستغاث مما يساهم في بلبلة ايمان الطفل ويقينه وينسف التوحيد الذي يحاول درس التربية الاسلامية ترسيخه في ذهنه، وبما أن العبارات التي وردت في الدروس الثلاث المشار اليها لم توف كلمة الله او الرسول حقها من الذكر، فقد جاز لنا أن نقول أنه لم يرد ذكر لكلمات الله، الرسول، الاسلام، القرآن مع العلم أن الكلمتان الاخيرتان لم تذكرا بالمرة.

5 الدرس المعنون « جمال بالمدينة » كرر مرتين، مرة بالصفحة 56 من كتاب السنة الثالثة من التعليم الابتدائي - سلسلة « بخطوات كبرى »، طبعة صودين، ومرة بالصفحة 117 من الكتاب نفسه، وقولنا ان كلمة المسجد لم تذكر الا مرة واحدة في محله لكونها ذكرت مرة واحدة في درس واحد كرر مرتين وللتعبير عن شيء واحد، أن جمال يسكن بالعمارة قرب المسجد.

6 نفس المرجع، ص 65.

7 نفس المرجع، ص 67.

8 نفس المرجع، ص 13، مع الاشارة إلى أننا لم نحرص على معرفة كم من مرة ورد ذكر كلمة الجمعة في مقررات السلسلة وان حرصنا على معرفة وجود تنبيه لعظمة هذا اليوم عند المسلمين وما يجري فيه من نشاط ديني وصلة رحم.

9 نفس المرجع، ص 81، الدرس المعنون « جمعة جميلة (Vendredi de Jamila) ».

10 هنالك اشارة في الدرس الى ان ام جميلة طلبت من ابنتها أن تذهب لشراء لتر من الحليب، ولو استغل هذا الذهاب برجوع جميلة دون شراء الحليب لكون الدكاكين بالشارع كلها مغلقة وتساءلت عن ذلك، فأجيبت من طرف أمها أن الوقت وقت صلاة وأنه في يوم الجمعة يحرم البيع والشراء وقت الصلاة ليتفرغ الناس للذهاب الى المسجد لكان الدرس أفيد وأنفـــع.

11 نفس المرجع، ص 97، واقتصرنا على هذا الدرس كمثل للاستدلال لا للحصر، والا فالدروس من مثل هذا النوع كثيرة. ولست بالمتحامل على الكرة المستطيلة، فتلك رياضة لها فنها وعشاقها، ولكني أردت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن أنبه إلى أن شرائع الدين الاسلامي أولى بالذكر من جميع الرياضات، وأن سلم الأولويات كان غائبا حين تحرير نصوص المقررات.

12 كتاب السنة الخامسة من سلسلة « بخطوات كبرى » طبعة دار الرشاد، ص 14.

13 نفس المرجع، ص 50.

14 كتاب السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، طبعة صودين ـ الدار البيضاء، ص 126

15 كتاب السنة الخامسة، طبعة دار الرشاد الدار البيضاء، ص 58.

16 صنف الانثروبوبوجيون الغربيون تطور أنواع البشر منذ ظهورهم على الارض الى خمسة أصناف وبالتالي قسموا تاريخ البشرية الى خمس حقب، وهي كالآتي :

ـ « الانسان سيفا بيثكوس » Sivapithecus الذي يرتفع الى سبع عشرة مليون عام ويكون الحلقة بين القردة العليا ونوع البشر.

ـ « الانسان القرد العفاري »Australopithècus Afarensis الذي يرتفع الى خمسة ملايين من السنين وهو أول حيوان بدأ يختلف عن بقية القردة العليا.

ـ « الانسان القرد الافريقي » ويقال أنه عاش قبل 3 ملايين سنة.

ـ « الانسان الماهر » Homo Habilis وهو حسب زعمهم جد الانسان الحالي، وقالوا أنه عاش منذ مليونين من السنين بعد أن افترضوا أن مناخ الارض جرى عليه تغيير كبير ساق الى ظهور أنواع جديدة من الحيوان كما ساق الى تطور أنواع البشر،

ـ « الانسان الحالي » أو ما يسمى بـ « انسان نياندرتال » Néandertal والذي عم الارض منذ حوالي 35 الف سنة.

واعتمدوا في تصنيفهم هذا على جماجم لأنواع من الحيوانات قريبة للبشر وعلى النظرية الدروينية التي تزعم أن أصل الانسان قرد، ومن كبار القردة ! وقد تم عرض هذه الجماجم اخيرا في معرض أقيم بنيويورك في شهر أبريل الماضي بعنوان « أسلافنا : أربعة ملايين من السنين على وجود الانسان بالارض » (انظر مجلة « الثقافة العالمية »، العدد 17 ـ شوال 1404، يوليوز 1984، ص 172 ـ 173). ويبقى تصنيفهم المشار إليه لا يدعمه دليل علمي، وناتج عن افتراضات وتخمينات غير ثابتة وواهية.

17 سـورة التين : 4 ـ 6

18 سـورة ص : 70 ـ 73

19 الدرس المعنون « درس السباحة La leçon de natation) » كتاب السنة الرابعة، ص 106.

20 سـورة النـور : 30 ـ 31.

21 كتاب السنة الثالثة، ص 50.

22 كتاب السنة الخامسة، ص 18.

23 كتاب السنة الثالثة، ص 12 و22 و26 و46.

24 من الحق القول أن مثل هذه الدروس التي تبرز الطفل المغربي شرها أو سيء الخلق قليلة الورود في المقررات، إلا أنها لو أرفقت في نصوصها بالحث على السماحة والقناعة لكانت الدروس أنفع وأفيد، وجلها في كتاب الرابعة.

25 كتاب السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص 26.

26 نفس المرجع، ص 38.

27 نفس المرجع، ص 46.

28 مجموع الكتب عشرة، 4 بالسلك الأول و3 في كل من شعبة العلوم وشعبة الآداب بالسلك الثاني.

29 كتاب السنة السادسة من التعليم الثانوي، شعبة الآداب، طبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء الدرس الثامن، ص 46.

30 وهذا بلا شك سيؤثر على استيعاب التلميذ للغة الاجنبية وسيجعله ينفر منها ويعزف عنها، أولا يدرسها إلا مكرها، مما ينعكس على نتائجه، مع العلم أننا لا نريد من التلميذ أن يكره اللغة الاجنبية، بل عليه معرفتها حتى نتمكن من تحقيق الاستقلال الاقتصادي والتكنولوجي لوطننا وأمتنا العربية والاسلامية.

31 لقد كان موضوع الرسالتين اللتين قدمنا ونوقشنا بجامعة السوربون، هو القرآن الكريم.

ـ الأولى بعنوان « مدخل الى القرآن الكريم » (Initiation au Coran) وقام بنقلها إلى اللغة العربية محمد عبد العظيم مع مراجعة الدكتور محمد بدوي وطبعتها دار القرآن ودار القلم بالكويت سنة 1391 هـ/1973 م.

ـ الثانية بعنوان « دستور الاخلاق في القرآن » (La Morale du Coran) قام بترجمتها والتعليق عليها الدكتور عبد الصبور شاهين مع مراجعة الدكتور محمد بدوي وطبعتها دار البحوث العلمية سنة 1393هـ/1973 م

والرسالتان نوقشتا في 15 دجنبر 1947 وبفضلها نال المؤلف درجة الدكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف الأولى. وتجدر الاشارة إلى أن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب قد أعادت طبع كتاب الدكتور عبد الله دراز رحمه الله « دستور الاخلاق في القرآن » بأصله الفرنسي سنة 1983، وسبق أن طبع بفرنسا في 1951.

32 كتاب اللغة الفرنسية للسنة الخامسة من التعليم الثانوي، شعبة الآداب، طبعة دار النجاح الجديدة ـ 1980، الجزء الخاص بدروس للتلخيص، الدرس 26، ص 465.

33 إن التفسير الاسلامي للتاريخ لا يدرس في أي مادة من المواد حتى بمادة التربية الاسلامية سوى اقتباسات وردت في مقررات التاريخ، وبعضها بمادة الفكر الاسلامي، ولا ينبغي أن ننسى أن التلميذ في السنوات الأخيرة من الثانوي أصبح يطالع المجلات الفكرية والثقافية والكتب العربية والفرنسية والتي أغلبها كما نشاهد ونلاحظ يعتمد على التفسير المادي للتاريخ ويقدمه كعلم من العلوم شأنه شأن الرياضيات والطبيعيات.

34 منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ـ أطروحات ورسائل ـ رقم 1 : « المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850 ـ 1912 » الطبعة الثانية 1403هـ/1983 م لاحمد توفيق، وقد نال بهذا البحث دبلوم الدراسات العليا في التاريخ بميزة حسن جدا، و قامت الكلية بطبع الكتاب ضمن منشوراتها.

35 المرجع السابق ص 421 و422.

36 « الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري » للدكتور محمود حمدي زقزوق، سلسلة كتاب الامة، العدد الخامس، صفر الخير 1404 هـ، والفقرة مقتبسة من تقديم الكتاب للسيد عمر عبيد حسنة، ص 7 و8.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

37 عبد الكبير الخطيبي، من مواليد الجديدة سنة 1938، درس بالسربون، شعبة العلوم الاجتماعية وقدم بها أطروحته لدكتوراه السلك الثالث حول موضوع « القصة بالمغرب العربي » سنة 1968. يدرس حاليا العلوم الاجتماعية بجامعة محمد الخامس بالرباط. له عدة مؤلفات منها « الذاكرة الموشومة » التي اقتبس منها الدرس، و« المغرب العربي المتعدد » الذي اقتبس منه مقال مجلة مواقف المذكور فيما بعد، وكتاب « الإسم العربي الجريح » الذي فيه من ألفاظ الدعارة ما يخجل العاقل من ذكره، خاصة منه الفصل المعنون « بلاغة الجماع » وكتاب « في الكتابة والتجربة ».

38 كتاب اللغة الفرنسية للسنة السادسة من الثانوي ـ شعبة الآداب، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 185و 186 مقتبسا عن كتاب الخطيبي « الذاكرة الموشومة ».

39 مجلة « مواقف، عدد 49، شتاء 1984، ص 5، ترجم النص الى العربية محمد بنيس، والمقال فصل من كتاب ظهر مؤخرا بالفرنسية بعنوان « « MAGHREB PLURIEL » (المغرب العربي المتعدد)، منشورات : DENOEL-SMER/PARIS-RABAT 1983م

وليس غريبا أن يطلع علينا الخطيبي في مقاله المذكور بآراء وأفكار واهية ضالة باطلة عن القرآن وعن الانبياء عليهم السلام وصحابة النبي وزوجاته الكرام. فهو يرفض التفاسير المعتمدة ويضرب عرض الحائط بعلوم الفقه والحديث والقرآن وينطلق في دراسته للجنس في القرآن حسب رأيه وهواه، إذ يقول :

« ... وضعية هذا التفسير هشة، أما نحن فسنحاول محاصرة وجود النساء كضحية بين اللاهوت والشرع من ناحية، ومن ناحية ثانية تصعيد العشق الصوفي والجمالي الذي يجعل من جسد المرأة حلية لقصيدة جميلة، أوفناء، دونما واسطة، في العشق الالهي، أي حضرة المتنسك الذي تخلص من كل ارتباط جسدي. ولكننا لن نتطرق لمجمل قضايا التصوف. فلنركز الآن اهتمامنا على القرآن. أجل، هي قراءة، وإعادة قراءة للقرآن، بحسب فكر آخر : هذا معناه، بدءا، أن نضع بين قوسين كل التراث العريض لشروح وتفاسير القرآن او المتعلقة به... » ص 8.

40 نفس المرجع السابق، ص 13 و 14.

41 كتاب اللغة الفرنسية للسنة الثانية من الثانوي، مكتبة المدارس ـ الدار البيضاء 1979، ص 377.

42 كتاب اللغة الفرنسية للسنة السابعة من الثانوي ـ شعبة الاداب ـ دار الكتاب، الدار البيضاء ص 207 و208.

43 انظر النقطة الثانية من الجزء الثاني للمرحلة الابتدائية ضمن تعليقنا على درس السباحة.

44 سورة النور : 31

45 ورد بمقر السنة السابعة من الثانوي، شعبة العلوم، درس مقتبس عن ج. مارسيه من كتابه « الفن الاسلامي »، فيه ذكر بعض ما يعرفه العالم الاسلامي من فنون وعمران، والدرس مصحوب بصورة لفناء مسجد القرويين بفاس، خال من الطعن في الدين الاسلامي والسخرية من المسلمين. ولعله الوحيد الذي يشير باختصار شديد إلى بعض معالم الحضارة الاسلامية، ونظرا لاختصاره هذا وانحصاره في الميدان الفني، فقد جاز لنا أن نقول أن المقررات لم يرد بها ذكر يليق بعظمة الاسلام وثقافته وحضارته ـ انظر كتاب السنة السابعة، شعبة العلوم، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 220 و 221.

46 انظر مثلا كتاب الفرنسية للسنة السادسة من الثانوي، شعبة العلوم، طبعة دار النجاح الجديدة، الطبعة الخامسة، 1982، ص 74 و75 وكذلك الصفحتين 89 و90 بخصوص الازتيك، وكتاب السنة السابعة من نفس الشعبة ولنفس الناشر، ص 128.

47 كتاب اللغة الفرنسية السنة الخامسة من الثانوي، شعبة العلوم، دار النجاح الجديدة، الطبعة الرابعة 1980، ص 99.

48 اسم الاله الاعظم عند قدماء الاغريق.

49 اسم إله النور والفنون والطب عند قدماء الاغريق.

50 انظر تلخيصا قيما لتطور قضية فلسطين في مقال « من مفكرة فلسطين » للكاتب اسماعيل الكيلاني، مجلة الامة، العدد 20، ص 36، ونشير إلى أننا اقتبسنا من مقدمته بعض الجمل.

51 انظر الحوار الذي أجرته مجلة الامة مع الشيخ عبد الحميد السائح، أول من أبعدته إسرائيل بعد احتلال القدس، عدد 36، ص 48.

52 كتاب اللغة الفرنسية للسنة الرابعة من الثانوي، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، 1979، ص 6 ، وهو الدرس الاول بالمقرر.

53 مقرر السنة الثالثة من الثانوي، مكتبة المدارس، الدار البيضاء 1979، ص 18 و 19.

54 نفس المرجع، ص 73. □

من توجيهات المربي الأكبر محمد عليه الصلاة والسلام

- أمروا أولادكم وأحسنوا أدبهم

رواه ابن ماجة

- مروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، فإنه فيها مثل الجنة

رواه ابن عساكر

- أدبوا أولادكم على ثلاث خصال:
حب نبيكم، وحب آل بيته، وقراءة القرآن
فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم
لا ظل إلا ظله...

رواه الطبراني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إسلامية - جامعة
تصدر مؤقتا مرة
كل شهرين

الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير ﴿١٢٠﴾ سورة البقرة

عدد خاص بالتربية الاسلامية

- انعدام الترابط بين مادة التربية الإسلامية و بعض المواد المقررة [نموذج: اللغة الفرنسية]
- النظام التعليمي السائد في المجتمعات الإسلامية و بديله
- مع محنة "التربية الإسلامية"